سلسلة الدفاع عن العقيدة 

١



أهل البيت عليهم السلام

شركاء النبي في الدعوة



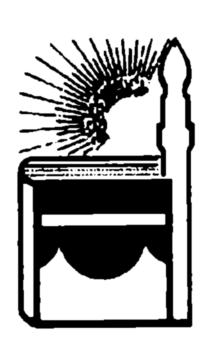
السيد أحمد الماجد البحراني

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

مؤسسة نور الزهراء


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أهل البيت عليهم السلام
شركاء النبي صلى الله عليه وآله
في الدعوة



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: أهل البيت عليهم السلام شركاء النبي صلى الله عليه وآله في الدعوة

تأليف: السيد أحمد الماجد

الناشـــر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: رمضان / ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

لبنان / بيروت / الغبيري ص ــ ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

أهل البيت عليهم السلام
شركاء النبي صلى الله عليه وآله
في الدعوة



تأليف

السيد أحمد الماجد البحراني

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الإهداء

إلى كل من ساهم بجهد ودعم لإبراز هذه البحوث وإظهارها بالمظهر الذي هي عليه، وإلى أخي الفاضل الحاج أبي حسن دعبل وزوجته الكريمة أقدم شكري وتقديري، لما بذلاه من سعي لطباعة هذا الكتاب، فلهما الفضل الأكبر والقسط الأوفر في الدعم والتبني لهذا العمل المبارك، إلى الجميع أهدي عملي هذا، وأسأل الله أن يتقبله منا بقبول حسن ليُثقِل به موازيننا إنه ولي قدير.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ذي المنّ والطَوْل الكريم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، حبيب إله العالمين سيدنا أبي القاسم محمد الهادي الأمين، وعلى آله الهداة الميامين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، واللعنة الدائمة الأبدية السرمدية على أعدائهم أعداء الدين إلى يوم يبعثون.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله فاطر السماوات والأرض، الحمد لله الذي له ما في السماوات والأرض، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمد لله الذي عرفني ما كنت به جاهلاً ولولا تعريفه إياي لكنت هالكاً، إذ قال وقوله الحق: **﴿قُل لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**، فبيّن لي القرابة فقال سبحانه: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**، فبين لي أهل البيت بعد القرابة، ثم قال تعالى مبيناً عن الصادقين الذين أمرنا بالكون معهم والرد إليهم بقوله سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**، فأوضح عنهم وأبان عن صفتهم بقوله جل ثناؤه: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**، فلك الشكر يا رب!

ولك المن حيث هديتني.

لقد كثر الكلام في الآونة الأخيرة حول بعض المرتكزات والثوابت العقيديّة، ممّا أثار حولها شبهات وأباطيل، وذلك للغط كلامي أثير، خصوصاً بعد تلك المناظرات والحوارات التي عرضت على شاشة إحدى الفضائيات العربية، والتي أثارت جدلاً طويلاً أثّر على بعض العقول الضعيفة، واستخفّ ما كان خفيفاً منها، وزاد في ثبات من هو مطمئن وواثق ومطّلع، وممّا لا شك فيه كان لها من الأثر الإيجابي الشيء الكبير، لما كشفته من حقائق، ولما ذُكر فيها من دقائق، ومن الأثر السلبي ما قد يزول ببيان ملابسات الأُمور، وتوضيح المبهم والمستور،إلا أنه مع هذا وذاك فقد بقيت من العوالق والدقائق ما يحتاج إلى توضيح، وبيان الدليل فيه وذكر التحقيق، ولا نريد بذلك تعميق الخلاف بين المسلمين على مختلف مذاهبهم ومشاربهم، ولا مس معتقد من معتقداتهم، أو التعدي على مقدّس من مقدساتهم، وإنما أردنا بهذا الجهد بيان مقام من أراد الله لنا العزّة والكرامة والفلاح باتّباعهم، وبيان مقام من لا يختلف أحد من أهل القبلة في إثبات فضلهم وشرفهم ومكانتهم، وأعني بهم آل بيت الوحي والنبوة، المطهرين والصفوة المصطفاة من الحق تبارك وتعالى.

وعليه قد انبرى بعض المؤمنين من المتتبّعين لتدوين ما ورد من شبهات وأباطيل، وجمعه في ملفّ ليُقَدَّم إلى أهل العلم والفضل والاختصاص، ليَردّ عليها بالدليل العلمي والحجة والبرهان، ولكي لا يبقى بعد ذلك ما يثار حولها من كلام وإشكال.

وقد عُرضت هذه الإشكالات والشبهات علينا لنردّ عليها بالحجة

والبرهان. وقد جاءت هذه المجموعة من البحوث الدقيقة رداً على تلك الشبهات والأباطيل المزعومة، ودفعاً لإشكالات متوهمة وأقاويل مغلوطة.

ولكون تلك الشبهات متفرّقة، وبعضها منفرداً لا يرتبط بغيره من الإشكالات، رأينا أن نجعلها سلسلة تحت اسم سلسلة **(الدفاع عن العقيدة)** نتناولها شبهة شبهة في مطبوع مستقل، ليسهل على القارئ الكريم متابعتها وتشخيصها والاستفادة من النكات العلمية الدقيقة التي ذكرت فيها.

وقد جاء هذا البحث الدقيق والأنيق في آية التطهير **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللـه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[(١)]. لدفع توهمات وإشكالات قديمة وحديثة مطروحة، والرد عليها بلغة حديثة متميّزة، تعتمد على أُسلوبها العلمي الدقيق في الطرح، لتبيّن اختصاص آية التطهير بمجموعة خاصة مطهّرة، قد تعلّقت إرادته تعالى التكوينية بها لتنزّهها وتعصمها من كل ما فيه نقيصة ورذيلة ورجس، لما اختاره لها وحمّلها إياه من هداية الأمة والحفاظ على الدين، ولتكن متمّمة لمسيرة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

وما جاءت به آية المودة في قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللـه عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَه فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللـه غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [(٢)]، وكيف أن اللـه جعل مودتهم أجر كلّ ما بلغه النبي ﷺ من الأصول

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

والفروع، وكيف أنها سبيل الله الذي منه يقصد، ومن هم القربى الذين هم سبيل الله، وما هو دورهم في هذا الدين؟

وكذلك آيتا الفيء والخمس في قوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِالله وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [1] وقوله: **﴿مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِه مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [2]، وكيف أن الله أعزى لهم التصرف في المال العام كما هو النبي ﷺ، مما يحفظ سلامة المجتمع الإسلامي من الانهيار والتمزق والطبقية المقيتة، وأن هذا الأمر لا يعطى إلا لمن حباه الله واصطفاه وآتاه من لدنه علماً.

وكذلك ما جاءت به آية المباهلة **﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** [3]، من المقام الخطير والعظيم لأهل بيت العصمة عليهم السلام، وبيانها لدورهم المهم والحساس، وكيف أن الباري تعالى احتجّ بهم على صدق الدعوة واستمرارها المرهون بوجودهم الشريف

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) آل عمران: ٦١.

عليه السلام، فجعلهم بذلك في مقام هارون من موسى عليه السلام حيث كان شريكاً له في الدعوة **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾** (١). نعم مع الفارق في مقام النبوة والوحي والمرتبة بينهم عليهم السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله.

فإذا لاحظ المتدبر المنصف هذه الاحتجاجات التي يطرحها العقل الشيعي المتبصّر والمتنوّر بنور الهداية، وتدبّره وغوره في المسائل وتحريه الحقائق وتجنبه عن الباطل والتعسف، وتحليه بالحلم والإنصاف، واهتمامه بالمسائل الدينية، وإحاطته بعقائد مخالفه، وتبحره في عقيدته سأل نفسه: من أين اكتسب هؤلاء هذه الفضائل؟ وفي أي مدرسة؟ وعند أي أستاذ؟ وأجاب: أكتسب من بيت الوحي وفي مدرستهم وعند أئمة أهل البيت عليهم السلام، فيتضح له معنى قوله سبحانه: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** وقوله تعالى: **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾** (٢)، وقوله تعالى: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾** (٣)، حيث جعل أجر الرسالة المودّة في القربى، وأثمرت المودّة الهداية والتكامل والتقوى وكل فضيلة، ويفهم معنى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضائل أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة والمنزلة وحديث ((**أنا مدينة العلم**)) إلى مئات وألوف الأحاديث المضبوطة في كتب الفريقين

---

(١) طه: ٢٩، ٣١.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) الفرقان: ٥٥.

متواتراً أو متضافراً.

وغير هذه الأمور المهمة التي تضمنها هذا البحث من نكات علمية دقيقة في الآيات الشريفة، نسأل المولى العلي القدير أن ينفعنا والمؤمنين به إنه ولي قدير.

أحمد الماجد

١٠ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ

- إشكال -

الشيعة وعقيدة الغلو في أهل البيت عليهم السلام

طـرح بعض المستشكلين على عقيدة طائفة من المسلمين ومنهم الشيعة الإمامية إشكالاً، مفاده:

لا يخفـى على كلِّ مسلم وموحد فضل أهل البيت عليهم السلام وكرامتهم، فهم ذريـة رسول اللـه صلى الله عليه وآله، وقد أوصانا النبي بمحبّتهم وتكريمهم، وقد فرض اللـه علينـا مودتهـم، ولكن هذا لا يستدعي ما ذهبت إليه بعض الفرق الإسلامية وبالـتحديد الشـيعة الإمامـية، الـتي غالـت في حـبهم ورفـع مكانـتهم، بحيث فضلتهم على صحابة رسول اللـه صلى الله عليه وآله وعلى الخلفاء، بل على أنبياء اللـه، فيا تـرى هـل يسـوغ هذا الفعل منهم، ثمّ ما هو دليلـهم على أفضلية أهل بيت الـنبي صلى الله عليه وآله على أصحابه وخلفائه، بل قد ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث أنهم جعلوا أهل البيت شركاء النبي في دعوته، وقد رووا عن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام تلك الرواية التي تبين الفرق بين النبي والإمام، فقد روى الكليني في أصول الكافي والمجلسي في بحاره وغيرهم هذه الرواية:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن ابـن العـباس المعـروفي إلى الرضـا عليه السلام: جعلـت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسـول و الـنبي والإمـام؟ قـال: فكتـب أو قـال: الفـرق بـين الرسول والنبي والإمـام، أن الرسـول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه

الوحـي، وربمـا رأى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما يسمع الكلام وربمـا رأى الشـخص ولم يسـمع، والإمـام هـو الـذي يسـمع الكلام ولا يرى الشخص [١].

فهم يجعلون الإمام يسمع الوحي إلاّ أنه لا يراه، وهذا غلو واضح، إذ ما الفـرق بـين الـنبي والإمـام، ثـمَّ ما الخصوصيّة فيهم والميزة الضائفة لـهم عن سـائر الصـحابة رضي الله عنهم، فهـل خـصَّ اللـه أهل بيت نبيه بما لم يخص به أصحاب نبيه صلى الله عليه وآله.

الجواب عن الإشكال

ولـلجواب عـن هذا الإشكال لا بد أن نستعرض ما جاء في كتاب اللـه المجيد مـن ذكـر أهـل بيـت نبـيه ، ومـا خصهم اللـه به دون سائر الصحابة والمسـلمين، ولِـمَ فُضّـلوا عـلى سـائر الأنبياء، وهل هذا غلو أُدخل في الدين والمعـتقد، أم أنـه فرض من اللـه تعالى بيَّنه في محكم التّنزيل، ونطقت به آياته قبل التأويل.

وفي استعراض الجـواب عـن هـذا الإشـكال نرتّب البحث ونبوّبه إلى محـاور، مـن خلالـهـا نسـتعرض الآيـات القرآنية التي تبيّن فضل ومقام أهل البيـت عليهم السلام الـذي فرضـه اللـه تعالى في كتابه، وأوضحه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في سنّته، والزم الأمة به عبر ما أثبته لـهم من فضل وكرامة وعلوّ منزلة.

---

(١) أصـول الكـافي ١: ١٧٦، ح٢ تحـت عـنوان (الفرق بين الرسول والنبي والمحدَّث)، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ١١: ٤١، ح٤٢.

فنقول: إن الله تعالى اصطفى خير خلقه ليبعثهم هداة للأمم ويحمّلهم رسالاته، وقد ختم تعالى تلك الرسالات برسالة الإسلام الخالدة فهي خير الرسالات وأتمّها وأكملها، وبتمام تبليغها تمّت النعمة وأكمل الدين فقال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾** [١]، وليس هناك كفؤ لحمل أفضل الرسالات وأتمها إلا أفضل الخلق أجمعين، ولم يكن ذلك سوى سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين الذي بلغ ذلك المقام **﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾** [٢]، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فأفضل الرسل لأفضل الرسالات، فإذا أثبتنا للنبي الأكرم هذا المقام ـ أعني الأفضلية على جميع الرسل والذين هم أفضل خلق الله ـ فيثبت بالتّبَع هذا المقام لمن أنزلهم الباري تعالى منزلة نفس نبيّه صلى الله عليه وآله، وجعلهم أوصياءه وشركاءه في إبلاغ أفضل الأديان وأتمها وأكملها، مع حفظ الفارق بينهم وبينه من حيث مقام النبوة والوحي وكونه المبلّغ الأول وصاحب الدعوة الأول، وأنه لا يرقى إلى مقامه مخلوق، وأنهم منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده، فهم حملة دين الله، وهم ((**موضع سره، وملجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه**)).

فكل أنبياء الله تعالى عليهم السلام يدينون بدين الإسلام ذلك لأنه **﴿وَمَن يَبْتَغِ**

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) النجم: ٩.

غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)، فأوصياء هذا الدين وحملته خير من أتباعه، كما قد جاء من طرق الخاصة والعامة من الروايات الصحيحة والصريحة من أن عيسى بن مريم عليهما السلام وهو نبي من أنبياء أُولي العزم يقتدي ويأتمّ بالإمام المهدي عليه السلام والذي هو من ولد فاطمة عليها السلام في صلاته، وهذا الفعل يكشف فيما يكشفه عن أفضلية الإمام من المأموم، واتباع النبي عيسى عليه السلام وهو من أنبياء أولي العزم للإمام والوصي من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وأن أنبياء الله تعالى هم تبع لهذا الدين، ويقتدون بأُمنائه وأوصيائه وأئمته.

هذا بمثابة مقدمة للخوض في تفاصيل الإجابة عن هذا الإشكال، وفيما يأتي نستعرض عدّة من الآيات المباركات التي نزلت فيهم، لنطّلع على دورهم وما خصّهم الله به من مقام عظيم لا يرقى إليه أحد من خلقه، فهم دون خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله في الفضل والمقام، وفوق من تبقى من خلق الله أجمعين، وقد بيّن الله مقامهم في قرآنه وسنّة نبيّه، والتي عمدت تلك الأيدي إلى إحراق سنّة نبي الله وذلك لطمس معالم الدين، ومحو ما يتعلق ببيان فضل ومقام أهل بيته المقرّبين عليهم السلام، فأرادوا بذلك **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** ولكن **﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** (٢). فهذا كتاب الله ينطق بفضلهم ومقامهم الذي به أكمل الدين، وتمّت النعمة.

وهنا نستعرض تلك الآيات التي نزلت في شأنهم، وأبانت فضلهم

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) التوبة: ٣٢.

ومقـامهـم، وكيـف أنهـم شركاء النبي في الدعوة وحفظ الدين، مع حفظ الفارق بينهم عليهم السلام وبينه صلى الله عليه وآله.



أهل البيت عليهم السلام المعنيون

في

آية التطهير



قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللـه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]

صدق اللـه العلي العظيم

إن آيـة الـتطهير واضحة الدلالة في الاختصاص بأهل البيت عليهم السلام، ولكن اختلف المفسرون وأهـل التأويل في الذين عُنوا بقولـه تعالى ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فمن هم المعنيون في الآية، والتي نزلت بخصوصهم وفي شأنهم، بالرغم من أن أسباب الـنزول واضـحة ومجمع عليها، وهذا الاختلاف ناشئ من نفس لفظ ﴿أَهْـلَ الْبَيْتِ﴾ وشمولـه لكلّ من لـه علقة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله كزوجاته أمّهات المؤمـنين، أو أنـه وإن كـان اللفـظ قد يشمل الجميع لدخول الزوجة في الأهل عـلى قـول شـاذ، إلا أنّ المـراد هـنا مـن أهل البيت فئة خاصة ومجموعة معيّنة وهي تلك التي كشف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عنها بفعلـه وقولـه.

في شأن من نزلت الآية؟

القـول الأول: ذهب بعض إلى أنها مختصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وذلك للسياق حيث مـا سـبقها مـن الآيـات كان بخصوصهنّ والخطاب موجّه لـهنّ، وعرف بهذا القول عكرمة مولى ابن عباس، ومقاتل وغيرهما.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

القول الثاني: أنها شاملة لنساء النبي ﷺ ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

القول الثالث: ذهب إلى هذا القول أهل العلم،وهو أنّ المراد بأهل البيت في الآية هم خصوص أهل الكساء الذين جللهم النبي ﷺ بكسائه وخصّهم الباري بإرادته وقصدهم النبي ﷺ بدعائه، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وهذا الرأي الأخير هو ما أجمعت عليه الشيعة الإماميّة،واستدلوا لهذا القول بالبراهين النقلية والعقلية، وقالوا: لا يجوز أن تكون الآية في نساء النبي ﷺ،بل ولا يمكن إشراكهنّ في أهل البيت المعنيين بالتطهير وذلك لعدة دلائل.

أما الأدلة، فقد ساق كل فريق جملة من الأدلة على إثبات مدّعاه في المقام وهنا نذكر أدلة كل قول وما يرد عليها.

الأقوال في الآية وأدلتها

أدلة القول الأول:

قد تبنّى هذا القول عكرمة مولى ابن عباس، وجماعة لا يعتد بهم من حيث الوثاقة والأدلة.

فاستدل القائلون بأن الآية خاصة في نساء النبي ﷺ دون غيرهم بعدة أدلة، نذكرها كما ذكرها أبو العلا في تحفة الأحوذي، إذ قال: قوله: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾** [1] قيل: هو الشك، وقيل: العذاب

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

وقيل: الإثم. قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل، قاله النووي. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصبه على النداء ويطهركم من الأرجاس والأدناس...، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ ـ بتقدير حرف الاستفهام ـ قال: أنت على مكانك وأنت على خير، يحتمل أن يكون معناه أنت خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء، كأنه منعها عن ذلك لمكان علي، وأن يكون المعنى أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي كذا في اللمعات.

قلت: الاحتمال الأول هو الراجح، بل هو المتعين.

وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في الآية، فقال ابن عباس، وعكرمة، وعطاء، والكلبي، ومقاتل، وسعيد بن جبير، إن أهل البيت المذكورين في الآية هم زوجات النبي خاصة. قالوا: والمراد بالبيت بيت النبي ومساكن زوجاته، لقوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [١]، وأيضاً السياق في الزوجات من قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك.. إلى قوله: لطيفاً خبيراً﴾

وقال أبو سعيد الخدري، ومجاهد وقتادة: وروي أن أهل البيت المذكورين في الآية هم: علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث، وهو قوله: (عنكم، ويطهّركم) ولو كان للنساء خاصة لقال: (عنكنّ وليطهركنّ).

وأجابوا عن هذا بأن التذكير باعتبار لفظ الأهل، كما قال سبحانه: ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ

---

(١) هود: ٧٣.

حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [١]، وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك، يريد زوجته أو زوجاته، فيقول: هم بخير. وتمسك أصحاب الرأي الأول أيضاً بما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في نساء النبي خاصة. وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي، وروي هذا عنه بطرق [٢].

---

(١) الأحزاب: ٣٤.

(٢) نعم تعدد الطرق قد يفيد في حال كون الرواية غير معتبرة، ولكن بسبب تراكم الاحتمالات أو تعدّد الطرق مثلاً فقد يتولد عند الباحث الظن أو الاحتمال باعتبار الرواية ـ والمسألة مبنائيّة ـ، فمثلاً إذا كان في سند الرواية (زيد) من الرواة، ولم يرد فيه توثيق ولا تضعيف، وفي الطريق الآخر (بكر) من الرواة وقد تكلّم فيه بعض بجرح دون اتّهامه بالكذب أو التدليس مثلاً، وطريق ثالث كذلك حال سنده، بمعنى أن في سنده شائبة إشكال، وكذا باقي الطرق، ولكن الرواية رويت بطرق متعددة، وكل طريق مستقلّ عن الطرق الأخرى، فقد يقال باحتمال اعتبار الرواية. أما إذا كانت الطرق كلها ترجع إلى راوٍ ضعيف وفاسد العقيدة والمذهب، ومنعوت بالكذب والتدليس كما هو حال عكرمة هذا، فهذه الرواية لا ترقى إلى درجة الحجيّة ولا يمكن البناء على صحتها.

وهنا في المقام الحال كذلك، حيث إنّ عكرمة اشتهر بالتزامه مذهب الخوارج أهل الضلال، وكان داعية له، وقد نشر هذه العقيدة الفاسدة في بلاد المغرب ومصر وغيرها من بلاد الإسلام، وقد ضعّفه جماعة ورموه بالكذب. فعليه لايمكن الاعتماد على هذه الرواية وإن تعدّدت طرقها، وذلك لأن كل الطرق تنتهي إلى عكرمة الذي عرفت حاله، فضلاً عن غيره من الرواة الضعاف والمتروكين في تلك الطرق الضعيفة.

وتمسك الآخرون أيضاً بحديث عمر بن أبي سلمة، وحديث أنس المذكورين في الباب وما في معناهما. [١].

فخلاصة هذا الدليل هو ما اعتمد من قول عكرمة بأنها خاصة في نساء النبي صلى الله عليه وآله، وما قالوه من كون السياق في الآيات المتقدّم وخطاب الباري تعالى لهنّ، وأن مصطلح الأهل يشمل الزوجة.

أدلة القول الثاني:

واستدل القائلون بأنها شاملة لنساء النبي صلى الله عليه وآله مع أصحاب الكساء الذين جلّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكسائه، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وذلك لقرينتين.

الأُولى: إن الآيات السابقة لجملة التطهير تأتي في سياق واحد، وكلها تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله، وآية التطهير جاءت ضمن هذه السلسلة المتكاملة من الخطاب لنساء النبي، وبعبارة أخرى: إن آية التطهير جاءت ضمن الآيات التي تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله، فلا يمكن صرفها عنهنّ، أو إخراجهنّ من أصل الخطاب.

الثانية: هناك عدة من الأقوال عن السلف من الرواة تثبت أن الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله، أو هي شاملة لهنّ.

قال أبو العلا في تحفة الأحوذي: وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، أما

---

(١) تحفة الأحوذي ٩: ٤٨.

الـزوجات فلكونهـنّ المرادات في سياق هـذه الآيـات كما قدّمنا، ولكونهنّ الساكنات في بيوته النازلات في منازلـه، ويعضد ذلك ما تقدّم عن ابن عباس وغـيره، وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهن قرابته وأهل بيته في النسب، ويؤيد ذلك ما ورد من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول(١).

يَرد على كلا القولين

ويُلاحظ على هذا المُدَّعى أمور عدّة:

الأمـر الأول: أن أم سـلمة رضي الله عنها ونسـاء الـنبي صلى الله عليه وآله لـو سـلمنا جدلاً ـ عـلى سبيل الفـرض ـ أنهنّ من أهل البيت لكونهن أزواجه صلى الله عليه وآله، فالكلام هـل هنّ من أهل البيت المشمولين في الآية والمعنيين بالتطهير من الرجس أم لا؟ والواضـح مـن شأن وسبب النزول والروايات الواردة في المقام أنهنّ لسن مـن أهـل البيـت المعنـيين في الآيـة، ولسن ممّن طهرهم اللـه تطهيراً بإذهاب الـرجس عنهم، فعليه حتى لو قيل أن نساءه صلى الله عليه وآله من أهل بيته إلا أنه لا يمكن الادعـاء بـأن الآية شاملة لـهنّ فضلاً عن كونها في خصوصهنّ، وإنما المعنيّ في هذه الآية هم خاصـة

أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا تحت الكساء ودعا لـهم بالتطهير.

ويؤيـد هـذا القـول مـا فعلــه صلى الله عليه وآله مـع أم سلمة رضي الله عنها عندما أرادت الدخول تحت الكساء فمنعها، وقال لـها: إنك على خير ولكن لست من أهل البيت، أو لست منهم، أي لست مع الخاصة المطهّرين وإن كنت من نسائي أو مـن أهـل بيتي ـ هذا على فرض قبول كون الزوجة من أهل البيت ـ، وكذا ما

---

(١) تحفة الأحوذي ٩: ٤٨.

فعله صلى الله عليه وآله مع عائشة وقوله لها: ‹ تنحي ›.

الأمر الثاني: سيأتي في أدلة القول الثالث ما يفند هذا الادعاء من كون الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله أو حتى شاملة لهنّ، وذلك من عدم تناسب وتجانس ما تقدّمها من آيات في حقّهنّ مع ما في آية التطهير وتعلق المشيئة الإلهية بطهارة صفوة خاصة.

الأمر الثالث: ما ذكره عكرمة ومقاتل وغيرهما، وما دلّسوه ونسبوه لابن عباس من ادعائهم بأن الآية خاصة في نساء النبي صلى الله عليه وآله، فهذه دعوى بلا دليل، فقوله هذا لا يرجع إلى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عن نساء النبي صلى الله عليه وآله، وإنما رأي شخصي في مقابل ما روي عن النبي وزوجاته صلى الله عليه وآله في هذا الشأن، والغريب إدعاء عكرمة هذا الأمر مع أن نساء النبي صلى الله عليه وآله لا يدّعين دخولهنّ، بل يثبتن من خلال الروايات أنّ المراد غيرهنّ وأنهنّ لسن معنيات بالتطهير، كما سيتبيّن ذلك من الروايات الواردة في المقام.

وأما عكرمة فقد عرف بعدائه لعلي عليه السلام، وقد بيّنا حال عكرمة هذا، والذي اشتهر بالتزامه مذهب الخوارج وكيف كان داعية لهذا المذهب، كما وعرف بكذبه وتدليسه، وكذبه على ابن عباس، فما ذكره عكرمة وغيره لا يستند إلى دليل من آية أو رواية في المقام، وكذلك بعض المتطفلين على التفسير لا يستندون في المقام إلى أيّ شيء يذكر، وإنما حجّتهم في المقام هو رأيهم الشخصي واستحسانهم الواهي وقياسهم الباطل، الذي لا ينفعهم فضلاً عن غيرهم. فمن ادّعى أنها خاصة في نساء النبي صلى الله عليه وآله، أو هي شاملة لهنّ مع أهل بيته المصطفين عليهم السلام لا يستند إلى دليل ولا بيّنة من الآيات أو الروايات الواردة في المقام، وإنما حكّم رأيه مقابل أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله في

اختياره الصفوة الخاصّة من أهل بيت النبوة، حيث جعلهم الباري تعالى محطّ إرادته الخاصة في إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم.

من هو عكرمة ومقاتل؟

ولبيان أن ما نقل عن ابن عباس، أو ما تبناه عكرمة ومقاتل من القول بأن الآية خاصة في نساء النبي ﷺ، ما هو إلا كذب وتدليس على ابن عباس وأن القائل به والمروج له عكرمة ومقاتل، فمن الضروري التعرف على هاتين الشخصيتين، وهل يمكن الاعتماد على ما يدعيانه، أو الوثوق بما يرويانه. فأما عكرمة فقد ذكرنا شيئاً ممّا قيل فيه هنا ولا نطيل[1]. وأما مقاتل فقد قيل فيه ما يكفي لترك ما يرويه وإبطال ما يدّعيه، ونذكر هنا بعض أقوالهم فيه.

ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال:

مقاتل بن سليمان البلخي المفسر أبو الحسن روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة.. قال وكيع: كان كذاباً..، وقال النسائي: كان مقاتل يكذب. وقال البخاري: سكتوا عنه. وروى عباس عن يحيى قال: ليس حديثه شيء. وقال الجوزجاني: كان دجالاً جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم هاهنا فأسند

(١) للاطلاع على حال عكرمة الخارجي يمكن الرجوع إلى كتابنا ‹ توثيق رواة الصحاح›: ١١٠، رقم ١٧› فقد ذكرنا هناك جميع ما يتعلق بحال عكرمة وما قيل فيه، من كونه داعية إلى مذهب الضلال، أعني مذهب الخوارج، وما ذكر في كونه مدلساً كذاباً، وغيرها من الطعون التي تثبت ضعف هذا الراوي وعدم وثاقته وعدم أمانته في نقل الحديث، فضلاً عن الأخذ بشهادته وادعائه كما هو الحال في المقام.

ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عما دون العرش، وحدثت أنه قال مثلها بمكة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها. فسكت..، حدثنا محمد بن حماد عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين حبيب الله ؟ فيتخطى صفوف الملائكة حتى يصير إلى العرش، حتى يجلسه معه على العرش،حتى يمسّ ركبته..،قال ابن عدي: عامة حديثه لا يتابع عليه[1].

قال ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين:

مقاتل بن سليمان الأزدي، قال وكيع: كذاب. وقال يحيى: ليس حديثه بشيء. وقال: السعدي كان دجالاً جسوراً. وقال أبو داود: تركوا حديثه. وقال البخاري: منكر الحديث سكتوا عنه. وقال مُرّة: لا شيء البتة. وقال زكريا الساجي: كذّاب، متروك الحديث. وقال الرازي: متروك الحديث. وقال النسائي: الكذّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة، ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن شعبة الكصلوب بالشام. وقال أبو حاتم بن حبان: كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهاً يشبّه الربّ عز وجل بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث[2].

ذكر الجوجزاني في أحوال الرجال:

مقاتل بن سليمان كان دجالاً جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم ها

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٦: ٥٠٥، رقم٨٧٤٧.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣: ١٣٦، رقم٣٤٠٣.

هـنا فـلما أن صـلى الإمـام أسـند ظهـره إلى القـبلة وقـال: سـلوني عما دون العرش، وحدثت أنه قال مثلـها بمكة فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت(١).

وقال البخاري في التاريخ الكبير:

مقاتل بن سليمان الأزدي لا شيء البتّة (٢).

وقال التميمي في الجرح والتعديل:

مقـاتل بـن سـليمان البـلخي صـاحب التفسـير والمـناكير، روى عـن الضـحاك ومجـاهد والزهـري وابـن بـريدة..، عـبد الـرحمن انـا محمود بن آدم المـروزي فـيما كتب إلي قال: عملاً وكيعاً وسئل عن كتاب التفسير عن مقاتل بـن سـليمان فقـال: لا تـنظر فيه، قال ما اصنع به؟ قال: ادفنه، ثم قال: أليس زعمـوا أنـه كـان يحفـظ، كـنّا نأتيه فيحدّثنا، ثم نأتيه بعد أيّام فيقلب الإسناد والحديث. نا عبد الرحمن نا محمود بن آدم المروزي فيما كتب إلي قال: أُخبرت عـن وكـيع أنّـه قال: كان مقاتل بن سليمان كذّاباً، ثنا عبد الرحمن قال: ذكره أبـي، قـال: نـا محمود بن غيلان قال: سئل وكيع عن مقاتل بن سليمان فقال: سمعنا منه والله المستعان...

نـا عـبد الـرحمن نـا العـباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة، قال: سمعت بعض مشيختنا يقول: جلس مقاتل بن سليمان في مسجد بيروت فقال: لا تسـألوني عن شيء ما دون العرش إلاّ أنبأتكم عنه. فقال: الأوزاعي لرجل:

---

(١) أحوال الرجال ١: ٢٠٢، رقم ٣٧٣.

(٢) التاريخ الكبير ٨: ١٤، رقم ١٩٧٦.

قم إليه فسله ما ميراثه من جدتيه، فحار ولم يكن عنده جواب، فما بات فيها إلا ليلة ثم خرج بالغداة.

نا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: قال أبي مقاتل ابن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه شيئاً.

نا عبد الرحمن نا محمد بن سعيد المقرئ قال: سئل عبد الرحمن، يعني ابن الحكم بن بشير عن مقاتل بن سليمان، فقال: كان قاصّاً، ترك الناس حديثه.

نا عبد الرحمن قال: قرئ على العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء.

نا عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: هو متروك الحديث [(١)].

وقال العجلي في معرفة الثقات:

مقاتل بن سليمان البلخي متروك الحديث [(٢)].

وقال ابن حجر في لسان الميزان:

مقاتل بن سليمان.. أجمعوا على تضعيفه[(٣)].

وكلّ هذا يكشف عن ضعف هذا الرجل وكذبه، وعدم اعتماد قوله وروايته فضلاً عن رأيه، كما ويكشف عن أن ما ذكره في تفسير القرآن أنما جاء به من اليهود والنصارى بما يوافق أهواءهم وميولهم، ومعلوم عداء

---

(١) الجرح والتعديل ٨: ٣٥٤، رقم١٦٣٠.

(٢) معرفة الثقات ٢: ٢٩٥، رقم١٧٨١.

(٣) لسان الميزان ٧: ٣٩٧، رقم٤٩٢١.

اليهود والنصارى لهذا الدين الحنيف وسعيهم الحثيث على حرف مسيرته وإبعاد أتباعه عن صافي معينه، وذلك ببث الأكاذيب وتحريف الروايات وصنع أمثال هذا الضال المضل،فعليه لا يمكن الاعتماد على روايته وقوله ولا الوثوق برأيه،فيكون ما ادّعاه من كون آية التطهير نازلة في خصوص نساء النبي ﷺأو شاملة لهنّ قد يكون ممّا أخذه من اليهود أو النصارى، أو من كذبه الذي اشتهر به ولا أساس له.

أدلة القول الثالث

الأول: سياق الآيات المتقدّمة

قال أهل العلم: لا يجوز أن تكون الآية خاصة في نساء النبي ﷺ، بل ولا حتى إشراكهنّ في أهل البيت المعنيين في الآية، وذلك لما تقدّم هذه الآية من الآيات التي يخيّرهنّ النبي ﷺ بين الطلاق أو الصبر على ضيق الحال، في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَه وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَها الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِله وَرَسُوله وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَها رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [1].

---

(١) الأحزاب: ٢٨ ـ ٣١.

فالآيات المباركات تذكّر نساء النبي صلى الله عليه وآله بأن حبّ الدنيا والافتتان بالحياة المادية وزينتها لا يتناسب ومقام الزوجية لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما وتذكرهنّ إنْ كنّ على استعداد لمجارات رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته المنقطعة إلى الله، وأردن مواصلة الحياة الزوجية معه على هذا الأساس، فهذا شرف وكرامة لهنّ وبه يَنَلْنَ أعظم الدرجات والأجر الذي أُعدّ لهنّ، إن اتّبعن أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله واجتنبن نواهيه.

ثم تبيّن الآية التي تليها أن مقامهنّ ليس كمقام باقي النساء، وعليه فالأجر مضاعف والعقاب مضاعف، وذلك لحساسيّة وخطورة أفعالهنّ، والموقع المتميّز الذي اختصّت به أفعالهنّ. وبعد ذلك تبين الآية اللاحقة الجانب الآخر، إذ الخلوص لله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله المطلقة وعمل الصالحات يوجب ضعف الأجر والثواب، كما أوجب اجتراح الفواحش ضعف العقاب.

ثم تأتي الآية اللاحقة لتقول: **﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾**[1] لتصرح بالتّحذير والتّذكير، حيث تبين لهنّ أنهن لسن كسائر النساء ولا ينبغي أن يقسن أنفسهن بسائر النساء في الأُمور المعيشيّة، فإن أردن تقوى الله عليهنّ الالتزام واجتناب المعاصي وعدم اللجوء إلى الأساليب المعوجّة والطرق المشبوهة، وعليهنّ أن يسلكن مسلك الورع والاحتياط حتى في أُسلوب الكلام والتعامل مع الآخرين، حيث إنه قد يتعامل مع من في قلبه

---

(١) الأحزاب: ٣٢.

مرض فيطمع، وواضح أن هذا يتنافى مع مقامهنّ الكبير بصفتهنّ زوجات لرسول الله ﷺ، بل عليهنّ أن لا يُدخِلْنَ أنفسهنّ فيما لا يعنيهنّ من الأُمور الاجتماعية والسياسية، فدخولهنّ قد يسبّب حالة انشقاق وبلبلة يصنعها ويستفيد منها أُولئك الذين في قلوبهم مرض، وكأنّ الآية تريد أن تنهى بعضهنّ عن أمر سيقع بسبب فعلها وقولها، ويستفيد منه الذين في قلوبهم مرض، أُولئك الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين، وقد كشف القرآن مرضى القلوب في موارد عديدة، يمكن للمتتبع ملاحظتها بتتبّع مفردة - الذين في قلوبهم مرض -.

ثم تأتي الآية اللاحقة لتوضح ما أرادته الآية السابقة فتقول: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**[1]، فهي تحدد دورهنّ الاجتماعي ووظيفتهنّ في المجتمع وتنهاهنّ عن الخروج من بيوتهنّ والتصدي للأمور التي لا تعنيهنّ، فليس من وظيفتهنّ الخروج إلى المحافل العامة، ولا التدخل في الأمور العامة للمسلمين بل يجب عليهنّ أن يقرن في بيوتهنّ، وبه تتحقق الطاعة لله عز وجل ولرسول الله ﷺ، وبخروجهنّ من بيوتهنّ وبتصديهنّ إلى ما لا يعنيهنّ يخالفن الله ورسوله ﷺ، حيث قُيّدت طاعة الله ورسوله بأن يقرن في بيوتهنّ وأن يقمن الصلاة ويأتين الزكاة، وخلافه خلافها.

فهذه سلسلة الآيات المتقدمة على آية التّطهير، ومن الواضح البيّن أنها لا تثبت لنساء النبي ﷺ أيّة فضيلة، بل هي تدعوهنّ للالتزام وكسب

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

الفضائل، وتعطيهنّ الدروس اللازم على المرأة المسلمة القيام بها، فضلاً عن كونها زوجة النبي صلى الله عليه وآله،كما وتأمرهن أمراً صريحاً واضحاً لا يشوبه شكّ بعدم التدخل في القضايا الإسلامية العامة، واستغلال منصبهنّ المحترم عند المسلمين، بل إن أردن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله عليهنّ أن يقرن في بيوتهنّ مهما بلغ الأمر.

وليس لقائل أن يقول: بأن الإرادة الإلهية اقتضت طهارتهنّ وعصمتهن ونزاهتهن في قوله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَه وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾** ذلك لأن الإرادة هنا متعلقة بهنّ ومعتمدة على سعيهنّ، حيث أنهنّ مخيّرات بين ابتغاء عرض الحياة الدنيا، وعليه لن يحزْنَ شرف الاقتران بالنبي صلى الله عليه وآله وبين الالتزام بما أمر الله عز وجل وبه يحصلن على الشرف والكرامة والأجر، فالأمر متعلق بهنّ وراجع إلى إرادتهنّ الخاصة في اختيار أحد الطريقين. وقد أرشدهنّ الباري لسلوك طريق الخير الذي فيه الأجر المضاعف ونهاهنّ عن سلوك الطريق المقابل والذي يؤدي إلى العقاب المضاعف. وعليه فهن بالاختيار والإرادة عائدة لهنّ.

إذن الآيات السابقة لآية التطهير ليست مثبتة لأي فضيلة لنساء النبي صلى الله عليه وآله، وإنما هي مرشدة ودالة لهنّ إلى طريق الفلاح إن أردن سلوكه، وناهية لهنّ من التدخل في الأمور العامة بأمرها لهنّ بأن يقرن في بيوتهنّ.

وبعد هذا النوع من التوجيه في الآيات المباركات تطل علينا جملة معترضة مختلفة في اسلوبها ومغايرة في خطابها، حيث تبيّن تعلق الإرادة الإلهية بأمر عظيم، ففيها المحور هو الإرادة الإلهية الخاصة المتعلقة بأمر يعني بمجموعة خاصة، وهذه المجموعة ترقى وتسمو فوق كل فضيلة وطهارة، وهي مجموعة إنسانيّة خاصة تفوق جميع البشر في الفضل والطهارة والشرف

والـنزاهة وكـل شـيء، ويـتوجه إلـيها الخطـاب الإلـهي الخاص الكاشف عن المشيئة الربانـية الخاصة بهم فتقول: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[(١)]. حيث قضت الإرادة الإلـهية أن يكون أهل البيـت عليهم السلام الذين هم صفوة هذا البيت النبوي المبارك، هم فقط المنزهين عن كـل نقـص وعيـب ورجـس وسوء،متّسـمين بطهـارة ونزاهة تنسجم مع هذا الديـن القيّم،لـيكونوا مـنهل العطـاء النقي والرافد العذب على مدى الدهر وبقاء الدين.

ومـن الواضـح الجلـي للمدقّق المنصف أن الإرادة الإلـهية الخاصة هنا إنما تعلقـت بهـذه الصـفوة لإعدادهـا لـدور قيادي خطير في هذا الدين، وهداية المسـلمين وحفـظ كـيان هذا الدين بوجودهم الشريف على مدى بقاء الدين. وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله الأكرم هذا المطلب في حديث الثقلين المتواتر[(٢)].

فهل يمكن تعلق الإرادة الإلـهية بطهارة نساء النبي صلى الله عليه وآله من كل الخبائث والأرجـاس، مـع مـا صـرّحت بـه الآيـات المتقدمة باحتمال ميلـهنّ إلى الدنيا والـتعلق بزينـتها ممّـا لا ينسجم ولا يجتمع مع طهارتهنّ من كل رجس ودنس حيـث إن الإرادة في اختـيار طـريق الدنيا وزينتها، أو اختيار طريق طاعة اللـه ورسـولـه صلى الله عليه وآله أمـره مـتعلق بـإرادتهن واختـيارهنّ، وكمـا بيّنا مطالبة الآيات لـهنّ بعدم الميل إلى الدنيا والتخلي عن زينتها.

إذن خلاصة هذه المجموعة من الآيات هو بيان دور نساء النبي صلى الله عليه وآله وبيان

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) سيأتي بيانه ضمن الأدلة المساقة.

الباري لهنّ شرائط الاقتران برسول الله صلى الله عليه وآله، من التخلي عن الدنيا وزينتها، والالتزام بالبيت النبوي وعدم التدخل في الأمور الاجتماعية والسياسيّة التي لا تعنيهنّ،أو اختيار الانفصال عن النبي صلى الله عليه وآله وعن البيت المبارك باختيارهنّ الطريق الآخر. وأما الجملة المعترضة من قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[1]، فهي تحكي عن الإرادة الإلهية في جعل هذه الصفوة مطهّرة من الرجس والدنس ليوكل إليها أمر هذا الدين ولتناط بها وظيفة اجتماعية ودينية مهمة لتسيير أمور الدين وقيادة المسلمين، فكيف يمكن أن تكون هذه الجملة المعترضة خاصة أو شاملة لزوجات النبي صلى الله عليه وآله اللاتي خاطبهنّ القرآن في الآيات المتقدمة بعدم التدخل في الأمور العامة والقضايا الاجتماعية إذ أمرهنّ بأن يقرن في بيوتهنّ؟؟!

كذلك لو أشركنا بعض الآيات الواردة في سورة التحريم، والمخاطبة لبعض نسائه صلى الله عليه وآله حيث خاطبهنّ الله عزّ وجل بخطاب يحمل في طياته التهديد والوعيد ممّا لا ينسجم والإرادة الإلهية بالتطهير لهنّ حيث قال تعالى: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾**[2].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التحريم: ٤ ـ ٥.

وما يفهم من ظاهر هذه الآيات هو يا نساء النبي إذا تظاهرتنّ عليه وآذيتنّه فإنكنّ لستنّ بمؤمنات ولا قانتات ولا تائبات ولا عابدات ولا سائحات، ولا يخفى على من تتبّع سيرتهنّ أن المراد مجموعهنّ لا جميعهنّ.

فإن كانت بعض نسائه ﷺ يصلن إلى هذه الدرجة التي تصفها الآيات أو ربما يصلن إلى هذه الدرجة، فكيف يصحّ أن تشملهنّ الإرادة الإلهية بالتطهير الذي هو مقدّمة لغاية عظيمة؟ وما التظاهر والأذى على رسول الله ﷺ إلا من عمل الشيطان. وقد ورد أن السيدة عائشة قالت للنبي ﷺ مرّة في كلام غضب عنده، قالت: أنت الذي تزعم أنك نبي الله [1]، أفيليق بهنّ أن يكنّ من أفراد أهل البيت المطهرين من الرجس تطهيراً؟؟!

ولو كانت الآية شاملة لهن لما توقفت إحداهن في إثبات ذلك لها ولسمعناه وشاع وتناقله الرواة، إلاّ أنّ ما وجدناه هو خلاف ذلك في صحيح ما نقل، وحسبهم في ذلك رواية بعض نساء النبي ﷺ للواقعة وبالخصوص رواية السيدة عائشة، والتي تثبت أن المقام خاص بفئة خاصة اختارها الباري وكشف عنها النبي ﷺ بفعله ودعائه.

الثاني: الروايات الواردة في المقام

أمّا الروايات الواردة في المقام فهي عديدة وبطرق مختلفة، وكل تلك الطرق صحيحة السند، وبعضها عالٍ في الصحة، وقد ذكرت في مصادر

---

(١) رواه الغزالي في الباب الثالث من الجزء الثاني من إحياء العلوم، وفي الباب الرابع والتسعين من... مكاشفة القلوب.

كثيرة، نذكر منها ما يفي بالمقام.

الأولى: رواية السيدة عائشة.

وقد نقلت هذه الرواية في مصادر عديدة ورويت بطرق صحيحة كثيرة نذكر منها:

ما رواه مسلم في صحيحه

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير، واللفظ لأبي بكر، قالا: حدثنا محمد بن بشر عن زكريا، عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: ثم خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غداة وعليه مرط مرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [1].

مسند أبي عوانة

حدثنا الصغاني قال: ثنا معلى بن منصور، قال: ثنا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن مصعب، عن صفية، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خرج ذات يوم وعليه مرط مرحل من شعر أسود. قال أبو عبيد: المروط أكسية صوف أو خز يتزر بها [2].

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، رقم ٢٤٢٤.

(٢) مسند أبي عوانة ١ ٥: ٢٣٩، رقم ٨٥٤٩.

والملاحظ: أن سند الرواية ينتهي إلى صفيّة ترويها عن عائشة، ولم ينقل الرواية بطولها واقتصر على ماذكره، ومع ذلك يكشف هذا المقدار عن اتحادها مع ما رواه مسلم في صحيحه، والبيهقي في سننه الكبرى حيث يرويها عن زائدة كما سيأتي.

المستدرك على الصحيحين

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان المرادي وبحر بن نصر الخولاني، قالا: ثنا بشر بن أحمد المحبوبي بمرو، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى أنا زكريا بن أبي زائدة، ثنا مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة، قالت: حدثتني أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ثم خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها الوقوف، ثم جاء علي فأدخله معهم، ثم قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه [١].

مسند أحمد بن حنبل

حدثنا عبد الله، حدثني أبي ثنا يحيى بن زكريا، حدثني أبي عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة عن عائشة، قالت: ثم خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود [٢].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٩، رقم ٤٧٠٧.

(٢) مسند أحمد ٦: ١٦٢، رقم ٢٥٣٣٤.

وقال في موضع آخر: حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا محمد بن مصعب قال: ثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمارة قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك ثم بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم؟ قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن علي، قالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فجلست انتظر حتى جاء رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، ومعه علي وحسن وحسين عليهم السلام، آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه، أو قال: كساء ثم أصحهما هذه الآية **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق [1].

الطبري في تفسيره

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا الفضل بن دكين قال: ثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار، قال: إني لجالس ثم واثلة بن الأسقع، إذ ذكروا علياً عليه السلام فشتموه، فلما قاموا، قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا، إني ثم رسول الله إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين، فألقى عليهم كساء له،ثم قال: ((**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**))[2].

---

(١) مسند أحمد ٤: ١٠٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٢: ٦

مصنف ابن أبي شيبة

حدثنا محمد بن بشر عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء حسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي، فأدخله، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1].

سنن البيهقي الكبرى

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أنبأ أحمد بن عثمان الآدمي ثنا محمد بن عثمان، ثنا أبي ثنا محمد بن بشير العبدي ثنا زكريا بن أبي زائدة ثنا مصعب بن شيبة عن صفيه بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ثم خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن محمد بن بشر[2].

وذكرها بطريق آخر:

أنبأ محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأ أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٧٠، رقم ٣٢١٠٢.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٢: ١٤٩، رقم٢٦٨٠.

يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: أخبرني أبي عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ثم خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود. رواه مسلم في الصحيح عن أحمد بن حنبل وغيره [1].

مسند إسحاق بن راهويه

أخبرنا يحيى بن آدم، نا بن أبي زائدة عن أبيه عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت سيبة عن عائشة، قالت: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فدعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حسناً فأدخله، ثم دعا حسيناً فأدخله، ثم دعا فاطمة فأدخلها، ثم دعا علياً فأدخله، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2].

تفسير ابن كثير

أما ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية، الحديث الذي رواه الترمذي والبزاز عن ابن حوشب قال: دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن علي عليه السلام. فقالت: تسألني عن رجل كان من أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تحته ابنته وأحبّ الناس إليه، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فألقى عليهم ثوباً وقال: ((اللهم

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٢: ٤١٩، رقم ٣٩٨٥.

(٢) مسند إسحاق بن راهويه ١ـ٣ ٣: ٦٧٨، رقم١٢٧١.

هـؤلاء أهـل بـيتي فأذهـب عـنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا)) قالت: فدنوت منهم فقلت: يارسول اللـه وأنا من أهل بيتك؟ فقال ﷺ: تنحّي فإنك على خير.

وأخـرج نحـوه عـن واثلـة بـن الأسـقع، أخرجه البيهقي، وقال عنه ابن كثير، صحيح الإسناد (١).

الترغيب والترهيب

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج رسول اللـه صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسـلم ذات غـداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود. رواه مسلم، وأبو داود، والترمـذي، ولم يقـل: مـرحل المـرط بكسـر الميم وإسكان الراء، هو كساء من صـوف أو خـز يؤتـزر به، والمرحل بتشديد الحاء المهملة مفتوحة هو الذي فيه صور الرحال (٢).

نيل الأوطار

عـن عائشـة رضي الله عنها قالت:خرج النبي صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم ذات غـداة وعلـيه مـرط مـرحل مـن شعر أسود. رواه أحمد ومسلم والترمذي وصححه (٣).

الثانية: رواية أم سلمة رضي الله عنها

ما رواه ابن حنبل في مسنده

حدثنا عبد اللـه حدثني أبي، ثنا عبد اللـه بن نمير قال: ثنا عبد الملك ـ

---

(١) تفسير ابن كثير ٣: ٤٨٦. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٧، رقم ٤٧٣١.

(٢) الترغيب والترهيب ٤: ١٠٠، رقم ٤٩٨١.

(٣) نيل الأوطار ٢: ٩٥.

يعنى بن أبي سليمان ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر، ثم أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة على دكان تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فانزل الله عز وجل هذه الآية: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير.

قال عبد الملك: وحدثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء قال عبد الملك: وحدثني داود بن أبي عوف الحجاف عن حوشب عن أم سلمة بمثله سواء [١].

فعبد الملك يرويه بثلاثة طرق، عن عطاء، وعن أبي ليلى، وعن داود ابن أبي عوف الحجاف عن حوشب، والطرق الثلاثة صحيحة ومستقلّة، كما سيأتي في البحث الرجالي.

الحاكم في المستدرك

الدوري حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن

---

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٢، رقم٢٦٥٥١.

دينار، حدثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: ثم في بيتي نزلت هذه الآية **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي. اللهم أهلي أحق.

هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه [1].

تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رِباح، حدثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان في بيتها، فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه، فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لها: ادعي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم، فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان، وكان تحته صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أُصلي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** قالت رضي الله عنها: فأخذ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فضل الكساء فغطاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٥١، وفي موضع آخر ٣: ١٥٨، ح٤٧٠٥.

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله. فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: إنك إلى خير، إنك إلى خير [١].

المعجم الكبير للطبراني

حدثنا إدريس بن جعفر العطار، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: ثم في بيتي نزلت هذه الآية: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** فأرسل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى فاطمة وحسن وحسين فقال: اللهم أهلي. فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت. قال: إن شاء الله [٢].

المعجم الأوسط

حدثنا علي بن سعيد الرازي قال: حدثني أبو أمية عمرو بن عثمان بن سعيد الأموي، قال: نا عمي عبيد بن سعيد عن سفيان الثوري عن عمرو ابن قيس والحجز عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ثم قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**. قال: وفيهم نزلت [٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣: ٤٨٥.

(٢) المعجم الكبير ٢٣: ٢٨٦، رقم٦٢٧.

(٣) المعجم الأوسط ٤: ١٣٤، رقم ٣٧٩٩.

الإصابة لابن حجر

وقالت أم سلمة: في بيتي نزلت: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** الآية، قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي. الحديث أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

ولا يخفى فضل أم سلمة رضوان الله عليها إذ بعد أم المؤمنين خديجة عليها السلام تأتي هذه المرأة الصالحة، وقد ورد في شأنها وفضلها العديد من الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وتميّزت هذه المرأة الصالحة بنصرتها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما توانت لحظة واحدة عن نصرته والدفاع عنه، وعن طريقها نقلت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل وشأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي أن تطلع على حال زيد بن صوحان الذي استشهد في حرب الجمل، فلما وقع مضرّجاً بدمه في حال احتضاره جاءه أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك الحال فقال له: رحمك الله يا زيد، قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه وأخذ يقول بصوت خافت: **((وأنت فجزاك خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلاّ بالله عليماً، وفي أم الكتاب علياً حكيماً، وأن الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكني سمعت أمّ سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فكرهت والله أن**

---

(١) الإصابة ٨: ٥٦.

أخذلك فيخذلني اللـه))[1].

وأما رسالتها إلى السيدة عائشة في حرب الجمل فإنها تكشف عن علمها ومعرفتها بحكم اللـه، وما فرضه عليهنّ كزوجات للنبي صلى الله عليه وآله وأمهات للمؤمنين، حيث قالت في رسالتها لعائشة: ((**إنّك جُنّةٌ بين رسول اللـه وبين أُمّته، وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمته، وقد جَمَع القرآن ذيلك فلا تَنْدَحيه، وسكّن عُقَيراك فلا تُصحريها، لو أذكرتك قولةً من رسول اللـه صلى الله عليه وآله تعرفينها لنُهشت بها نَهْشَ الرقشاء المطرقة، ما كنت قائلةً لرسول اللـه صلى الله عليه وآله: لـو لقيك ناصّة قلوص قعود من منهل إلى منهل قد تركت عُهَيْداه وهتكتِ سِتْرَه، إنَّ عمود الدينِ لا يقوم بالنساء، وصدعه لا يُرأَب بهنّ، حُماديات النساء خفضُ الأصوات وخَفْرُ الأعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتّى تلقينه وأنت على ذلك**))[2].

ولربما يكون خير شاهد على فضلها ومنزلتها التي فاقت بها سائر نساء النبي صلى الله عليه وآله هو نزول ‹ آية التطهير › في بيتها ـ بإجماع المسلمين ـ دون سائر بيوت زوجاته صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم أنّ البيت المشار إليه في الآية هو بيت أم سلمة ـ كما اتفقت عليه كلمة المفسرين. ولمعرفة مكانة هذه المرأة الصالحة هو أنها لم تتردد بأن تذكر أن الآية نزلت في بيتها وأنها خاصة في رسول اللـه صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنها ليست معهم، وذكرت ما قاله رسول اللـه صلى الله عليه وآله لها من أنها ليست معهم.

---

(١) رجال الكشي:٦٦ ـ ٦٧، رقم١١٩، قاموس الرجال ٤: ٥٥٧ ـ٥٥، بحار الأنوار ٣٢: ١٨٧ ح١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

بحث رجالي

صحّة الرواية على مباني القوم

لتوثيق رواية أم سلمة والاعتماد عليها نبحث عن حال عدة الرواة الواقعين في سندها وطرقها، على مباني أهل سنّة الجماعة وآرائهم في الجرح والتعديل.

أما الروايات الواردة في الصحاح والمصنفات المشهورة والمسانيد المعتبرة، فنكتفي بإثبات صحة أحد طرقها كموجبة جزئية نثبت بها صحة الرواية، فالرواية الواردة في مسند أحمد ورجالها، عبد الله بن نمير عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي محارب.

والطريق الآخر عبد الملك بن أبي سليمان عن داود بن أبي عوف الحجاف عن حوشب.

فأما عبد الله بن نمير: فقد روى له البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأكثر البخاري عنه في التاريخ الكبير، وهو ثقة كما ذكره العجلي في معرفة الثقات [1]، وذكره ابن حبان في الثقات[2]، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: روى له الستة في صحاحهم، ونقل توثيق يحيى بن معين له، وقول ابن حاتم بأنه مستقيم الأمر، ووثقه العجلي وقال: ثقة صالح

---

(١) معرفة الثقات ٢: ٦٤، رقم ٩٨٦.

(٢) الثقات ٧: ٦٠، رقم ٩٠١٤.

الحديث، وذكر توثيقاتهم فيه [١]،فهو ثقة.

وأما **عبد الملك بن أبي سليمان**: فهو ثقة ثبت في الحديث، وكان سفيان الثوري يسمّيه الميزان[٢]، وذكره البخاري في التاريخ الكبير [٣]، وقد وثّقه أحمد[٤]، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: إنه أحد الثقات المشهورين، ووثقه يحيى[٥]، وقال عنه ابن حجر في لسان الميزان: إنه أحد الأئمّة[٦]، وفي تقريب التهذيب نعته بالصدوق[٧]، وقال أبو عبد الله الذهبي الدمشقي في الكاشف: إنه أحفظ أهل الكوفة[٨]. ونقل المزّي في تهذيب الكمال توثيق أبي داود وتوثيق ابن حبان حيث قال: عبد الملك ثقة صدوق لا يرد على مثله، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: إن ثناءهم عليه مستفيض وحسن ذكرهم له، وذكر توثيقاتهم فيه، ولم يختلف أحد في وثاقته وصدقه. وعليه فهو ثقة صدوق[٩].

---

(١) تهذيب التهذيب ٦: ٥٢، رقم ١١٠.

(٢) معرفة الثقات ٢: ١٠٣، رقم١١٣٤.

(٣) التاريخ الكبير ٥: ٤١٧، رقم ١٣٥٣.

(٤) تاريخ أسماء الثقات ١: ١٥٨، رقم ٩٠١.

(٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤: ٤٠٠، رقم ٥٢١٧.

(٦) لسان الميزان ٧: ٢٩١، رقم ٣٨٦٩.

(٧) تقريب التهذيب ١: ٣٦٣، رقم ٤١٨٤.

(٨) الكاشف ١: ٦٦٥، رقم ٣٤٥٥.

(٩) تهذيب الكمال ١٨: ٣٢٢، رقم ٣٥٣٢.

وأما **عطاء بن رباح**: فقد روى لـه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وقد أكـثرا عـنه،وفي الـتاريخ الكـبير وقـد أكثر عنه، وروى لـه الأئمة في الصحاح السـتة واستفاضـت كتـبهم وصـحاحهم من الرواية عنه، وذكره ابن حبان في الـثقات[١]، وقـال الذهـبي في مـيزان الاعـتدال إنـه سيّد التابعين علماً وعملاً وإتقانـاً في زمانه[٢]، وقد أجمعوا على وثاقته وجلالة قدره، وذكره ابن حجر في تهذيـب التهذيـب وأثـنى علـيه[٣]. وذكره الكثير، وخلاصة القول فيه أنه ثقة صـدوق. وبـه يكـون الطريق الأول للرواية عالي الصحة والوثاقة في الإسناد، فالرواية صحيحة على مبانيهم.

وأمـا **داود بـن أبي عوف الحجاف** الذي يقع في الطريق الثاني،فقد كان مرضـياً كمـا قال البخاري في التاريخ الكبير نقلاً عن سفيان الثوري[٤]، وذكره الـبخاري في كتابه الكنى[٥]، وذكر مسلم في كتابه الكنى والأسماء رواية سفيان عـنه [٦]، وقال التميمي في الجرح والتعديل، إن سفيان كان يوثّقه ويعظّمه نقلاً عن عبد اللـه بن داود[٧]، وقال أبو حفص الواعظ في تاريخ أسماء الثقات: إنه

---

(١) الثقات ٢: ١٣٥، رقم ١٢٣٦.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٥: ٨٩، رقم ٥٦٤٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ١٧٩، رقم ٣٨٥.

(٤) التاريخ الكبير ٣: ٢٣٣، رقم ٧٩٠، التاريخ الصغير ٢: ١٣، رقم ١٦٢٠.

(٥) الكنى للبخاري ١: ٨٩، رقم ٩٣٠.

(٦) الكنى والأسماء ١: ١٩٤، رقم ٥٩٢.

(٧) الجرح والتعديل ٣: ٤٢١، رقم ١٩٢٢.

صالح كما قال أحمد [١]، وذكر الذهبي في ميزانه توثيق أحمد ويحيى له، وقول أبي حاتم: إنه صالح الحديث، نعم ذكر تضعيف ابن عدي له فقط ولكن علل ابن عدي تضعيفه له بقوله: لأنه شيعي [٢]، وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب رواية الترمذي والنسائي وابن ماجة عنه، وذكر توثيق من وثّقه، ثم ذكر تضعيف ابن عدي الذي انفرد بتضعيفه هذا وقال نقلاً عنه: له أحاديث وهو من غالية التشيّع وعامة أحاديثه في أهل البيت وهو عندي ليس بالقوي ولا ممن يحتج به، وذكره ابن حبان في الثقات[٣]، وواضح تضعيف ابن عدي له من تعليله بأنه يروي عن أهل البيت، وكأن ضابطة التوثيق هي عدم روايته عن أهل البيت عليهم السلام، وأمّا إذا روى عن أهل البيت فهو ضعيف عند ابن عدي، وهذا ما أشرنا إليه في كتابنا توثيق رواة الصحاح.

وأما ابن حوشب، **فهو شهر بن حوشب**: وهو لا يقل شأناً عن سابقيه وقد امتلأت صحاحهم ومسانيدهم وكتبهم من روايته، وروى له مسلم في صحيحه، قال العجلي في معرفة الثقات: تابعي ثقة[٤]، وقال الواعظ في أسماء الثقات: قال يحيى شهر بن حوشب: ثبت، وفي رواية أخرى عنه وكان من الأشعريين من أنفسهم وهو ثقة [٥]، وقال الذهبي في ميزانه: وقد ذهب إلى

---

(١) تاريخ أسماء الثقات ١: ٨٢، رقم ٣٤٧.

(٢) ميزان الإعتدال في نقد الرجال ٣: ٣٠، رقم ٤٦٤١.

(٣) تهذيب التهذيب ٣: ١٧٠، رقم ٣٧٥.

(٤) معرفة الثقات ١: ٤٦١، رقم ٧٤١.

(٥) تاريخ أسماء الثقات ١: ١١١، رقم ٥٣٦.

الاحتجاج به جماعة، ووثقه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو عيسى الترمذي: قال محمد: هو البخاري شهر حسن الحديث وقوي أمره، وقال أحمد العجلي: ثقة، وروى عباس عن يحيى ثبت، وقال يعقوب بن شيبة شهر ثقة، وقال حرب الكرامي عن أحمد: ما أحسن حديثه ووثقه، وروى حنبل عن أحمد ليس به بأس، وقال النسوي: شهر وإن تكلم فيه ابن عون فهو ثقة، وقال صالح: قدم على الحجاج فحدث بالعراق ولم يوقف منه على كذب [١]، وقال ابن حجر صدوق [٢].

وبهذا وغيره تثبت وثاقته وصدقه عندهم، وعليه يكون الطريق الآخر للرواية أيضاً عالي الصحّة. فالرواية على مبانيهم صحيحة السند.

الثالثة: رواية زيد بن أرقم

ما رواه مسلم في صحيحه

حدثنا محمد بن بكار بن الريان، حدثنا حسان يعني بن إبراهيم عن سعيد، وهو بن مسروق عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم قال: ثم دخلنا عليه فقلنا له: لقد رأيت خيراً، لقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وصليت خلفه.

وساق الحديث بنحو حديث أبي أنه قال: ألا وإني ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣: ٣٨٩، رقم ٣٧٦١.

(٢) تقريب التهذيب ١: ٢٦٩، رقم ٢٨٣٠.

ضلالة، وفيه فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده [١].

تفسير ابن كثير

وقال مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً عن ابن علية، قال: زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان، حدثني يزيد بن حبان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوا فيه، ثم قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يوما خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً، فقال له

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، رقم ٢٤٠٨.

حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته[١] ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال: نعم.

ثم رواه عن محمد بن الريان، عن حسان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه، فقلت له: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[٢].

فيض القدير

حم وعبد بن حميد م في المناقب كلهم عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: أما بعد. فذكره وتتمته في مسلم من عدة طرق، لفظه في أحدها قيل لزيد: أليس نساؤه من

---

(١) وهذا ما أشرنا إليه فيما تقدّم من أنه ربّما يطلق على المرأة من أهل البيت، ولكن هنا في الآية المباركة ـ آية التطهير ـ المراد بأهل البيت هم خصوص من جلّلهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بكسائه، وهم الصفوة الذين تعلّقت الإرادة الإلهية بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم؛ لأن يكون لهم ذلك الدور الهام في حفظ الدين وإرساء قواعده وبيان أحكامه، إذ هم الثقل الثاني المخلّف في الأمة.

(٢) تفسير ابن كثير ٣: ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

أهـل بيـته؟ قـال: ليس نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرّم الصدقة بعـده. وفي روايـة لـه: إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصلـه وعصبته الذين حرموا الصدقة (١).

الوقوف على الموقوف

حديـث آخـر: حدثـنا محمـد بـن بكـار بن الريان، ثنا حسان يعني ابن إبراهيم عن سعيد وهو ابن مسروق عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم نحو حديـث أبـي حـيان وفـيه، فقلـنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وأيّم اللـه إن المـرأة تكـون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصلـه وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده (٢).

---

(١) فيض القدير ٢: ١٧٥.

(٢) الوقوف على الموقوف ١: ١١٩، رقم ١٥٥.

قول ابن تيمية وابن جرير الطبري

ما قاله ابن تيمية في الفتاوى الكبرى

وقال ابن تيميّة في شرح الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: ولمّا بيّن سبحانه أنّه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهّرهم تطهيراً، دعا النبي ﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به، وهم: علي وفاطمة عليهما السلام وسيدا شباب أهل الجنّة جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ، فكان في ذلك ما دلّنا على أنّ إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم، ورحمة من الله وفضل.

وقال أيضاً: وقد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه صحاح أن الله لمّا أنزل عليه ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عليه وسلموا تَسْلِيمًا﴾[1]، سأله الصحابة: كيف يصلّون عليه. فقال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقال أيضاً ـ والقائل ابن تيمية ـ: وقد روى الإمام أحمد والترمذي

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنها: إن هذه الآية لمّا نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أدار النبي صلى الله عليه وآله كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا [١].

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله، تطهيراً. وذكر بسنده عن قتادة في تفسيره هذه الرواية قال: هم أهل بيت طهّرهم الله من السوء وخصّهم برحمة منه. ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي علي وفي حسن وحسين وفاطمة.

ثم ذكر حديث أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كما ذكره ابن كثير في تفسيره وقال: رواه الترمذي وقال: حسن غريب [٢].

وذكر حديث واثلة بن الأسقع، قال: إني عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاءه

---

(١) (رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم) تعليق أبي تراب الظاهري، دار القبلة جدّة/ ١٤٠٥ هـ، وهي في الفتاوي الكبرى ٢: ١٥٤/ عن كتاب الإمام علي بن موسى الرضا ورسالته في الطب النبوي: ١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٣: ٤٨٤.

علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساءً له ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

وذكر روايات عديدة من طرقه،منها: ما رواه بسند صحيح عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلل عليهم كساءً خيبرياً، فقال: ((**اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**)) قالت أم سلمة: ألست منهم قال: أنت إلى خير.

ومنها: حدثنا أبو كريب قال: ثنا مصعب بن المقدام قال: ثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك. فقالت: في البيت. فقال: ادعيهم. فجاءت إلى علي فقالت: أجب النبي أنت وابناك قالت أم سلمة: فلمّا رآهم مقبلين،مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه،ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم،وأومأ بيده اليمنى إلى ربه،فقال: ((**هؤلاء أهل البيت،فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا**)).

ومنها: حدثنا أبو كريب قال: ثنا حسن بن عطية قال: ثنا فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد، عن أم سلمة زوج النبي أن هذه الآية نزلت في بيتها: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت. قال: إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. قالت: وفي البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن

والحسين رضي الله عنهم.

ومنها: عن أم سلمة أن رسول الله جمع علياً والحسنين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي. فقالت أم سلمة: يا رسول الله أدخلني معهم. قال: إنك من أهلي.

ومنها: عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم أم سلمة قالت: فيه نزلت: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ قالت أم سلمة: جاء النبي إلى بيتي فقال: لا تأذني لأحد. فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال: ((**هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**)) فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت: يا رسول الله وأنا. قالت: فوالله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير [1].

ومن مجموع هذه الروايات وما تقدم يتضح لنا أمرٌ مهمٌّ، هو أن هذا الفعل قد صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من مرّة، وفي أكثر من موطن، حيث إن أم سلمة رضوان الله عليها تقول نزلت في بيتي وأردت الدخول فمنعني رسول الله، وعائشة تقول لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأردت الدخول فنهاني النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، وواثلة بن الأسقع يقول: كان عند رسول الله حين جلّل أهل البيت عليهم السلام بالكساء، وما تكرار الفعل من النبي صلى الله عليه وآله إلا

---

(١) تفسير الطبري ٢٢: ٦.

ليؤكد هذا الأمر الخطير، كما هو الحال في الروايات التي جاءت في بيان فضل ومقام ودور أهل البيت من قوله وفعله ﷺ مع الحسنين وأمهما وأبيهما عليهم السلام ، وكم تكرر الفعل منه والقول ليبين ﷺ للأمة مقامهم الخطير في استمرار الدعوة.

ولو كانت الآية خصت نساء النبي ﷺ أو أشركتهنّ في أهل البيت المعنيين، لما ترددت أي واحدة منهنّ رضوان الله عليهنّ أن تقحم نفسها وتثبت حقها في شمول الآية لها.

فعل النبي ﷺ وحصر الدعاء بهم عليهم السلام

والملاحظ في هذه الواقعة الخطيرة التي تجلت فيها الإرادة الربانية في تخصيص الطهر والطهارة وإذهاب الرجس عن مجموعة خاصة كانت تجتمع مع النبي ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها ، وهو بيت من بيوتات رسول الله ﷺ، بل هو من أهمها وأعظمها، الملاحظ من الروايات التي نقلناها من طرق أهل سنّة الجماعة والّتي أثبتنا صحة أسانيدها وطرقها على مبانيهم في علم الرجال، هو ثلاثة أمور صدرت من النبي ﷺ وذلك ليثبت خصوصية هذه الفئة، وليمنع ادعاء أي مدّعٍ في ذلك الوقت أو بعده من أنه مع هذه المجموعة الخاصة التي تعلقت الإرادة الربانية بإذهاب الرجس عنها وتطهيرها.

الأول: جمع النبي ﷺ لهذه المجموعة في مكان واحد قبل نزول الآية، بل أكثر من ذلك هو ضم النبي ﷺ لهم وإدخالهم تحت كسائه، وتغطيتهم به لكي لا يدخل أحد معهم، ولكي لا يتوهم أحد من الموجودين في الدار أن الخطاب يشمله، ولذا عَمَدَ النبي ﷺ إلى فعل خاص يخصّ به هذه النخبة الطاهرة عليهم السلام ، فقام بإدخالهم تحت الكساء،ذلك لأنه قد تتوهم زوجة من

زوجاتـه أو أحد من أهلـه بأن الآية تشملـه؛ لكونه يندرج تحت العنوان العام ـ أهـل البيـت ـ ولذلـك أراد الـنبي الأكـرم صلى الله عليه وآله دفـع هذا التوهم من أذهان المقـربين فضلاً عن الأبعدين. وبهذا الفعل قد قطع صلى الله عليه وآله الطريق على أيّ مدّعٍ قـد يدّعـي أن المراد من أهل البيت هم عامّة أهلـه، لأنه صلى الله عليه وآله قد خص الفعل بجمع خاص منهم وهم الذين تحت الكساء عليهم السلام.

الـثاني: أنه صلى الله عليه وآله بعد جمعه لـهم وتخصيصهم وبيان عدّتهم وأشخاصهم وصـرف أي دخيل عنهم، هنا دعا النبي صلى الله عليه وآله لـهم بقولـه: ((**اللـهم أذهب عنهم الـرجس وطهّرهم تطهيرا**)) وهـذا الدعـاء كـان في المقام والمكان نفسه، ونفس الجمـع معـه الذين خصهم بكسائه ودعائه، ولو أن النبي صلى الله عليه وآله سكت بعد الآية ولم يعقّـب بالدعاء وبيان أهل بيته المعنيين في الآية لكانت تلك ثغرة يمكن أن يدخـل منها أي شخص من أقاربه ويدعي أنه المقصود بها، ولذلك قال الإمام الصـادق علـيه عليه السلام في حديـث: ((... **فلو سكت رسول اللـه صلى الله عليه وآله ولم يبين مَنْ أهـلُ بيـته لادعاهـا آل فلان وآل فلان...**)) [1]..وكما قال ابن تيمية: ‹ ولمّا بيّن سبحانه أنّه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهّرهم تطهيراً، دعا النبي صلى الله عليه وآله لأقـرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به وهـم: علي وفاطمة عليهما السلام وسيدا شـباب أهل الجنّة، جمع اللـه لـهم بين أن قضى لـهم بالتطهير، وبين أن قضى لـهم بكمـال دعـاء النبي صلى الله عليه وآله، فكان في ذلك ما دلّنا على أنّ إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من اللـه ليسبغها عليهم ورحمة من اللـه وفضل› [2].

---

(١) الأصول من الكافي: باب ما نص اللـه عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحد١: ٢٨٦، ح١

(٢) (رسـالة فضـل أهـل البيـت وحقوقهـم) تعليـق أبـي تراب الظاهري، دار القبلة جدّة/١٤٠٥

الثالث: عَمَدَ النبي ﷺ إلى فعل مهم وخطير له مدلوله، وهو منعه أي شخص من الدخول في هذا الجمع الخاص، فلو تساءلنا: ماذا يريد النبي ﷺ بفعله هذا، ولم اختصت الإرادة الإلهية بهم دون غيرهم؟؟

لو كان الأمر مجرّد دعاء وانتهى لما خص النبي ﷺ هذه المجموعة الخاصة وهذا ما دلّنا على خطورة الأمر وعظم مكانته، ذلك لأن الأمر متعلق بالاختيار الإلهي، والمشيئة الخاصة لهؤلاء الثلة المباركة دون غيرها، وذلك لما يراد لهم من حمل هذا الدين وتبليغه، وجعلهم الهداة والقدوة للخلائق أجمعين، وبهم يحفظ القرآن والدين، وهم الثقل الثاني الموازي للقرآن الكريم. ولذلك عمد النبي ﷺ لإخراج زوجاته من هذه المجموعة ومنعه لهنّ من الدخول فيه، والحيازة على هذا الشرف العظيم والمكانة الخاصة من رب العالمين، فما قام به مع أم سلمة وعائشة دال بوضوح على أن الإرادة الإلهية خاصة بمن تحت الكساء ولا تشمل غيرهم.

وكيف تشمل نساء النبي ﷺ والآيات السابقة قد بيّنت احتمال وقوعهنّ في شراك الدنيا وزينتها، وقد خيّرهن الباري باختيار أحد الطريقين فإما الصبر على ضيق المعيشة والحال ومرافقة النبي ﷺ والبقاء تحت عهدته، أو التسريح الجميل لهنّ، بينما آية التطهير تخبر عن المشيئة الإلهية واختيارها مجموعة خاصة تمثل قمّة الفضيلة والشرف والطهارة، مما لا تنسجم

هـ،وهي في الفتاوي الكبرى ٢: ١٥٤/ عن كتاب الإمام علي بن موسى الرضا ورسالته في الطب النبوي: ١٤.

مع ما تقدّم من الخطاب.

وما نستخلصه من الآية المباركة بوضوح تام ليس فيه شك أو لبس،هو أن اللـه تعالى أراد لـهذه الخاصة المباركة أن تكون النخبة المطهرة التي تواصل المسيرة بعد عمر النبي الشريف صلى الله عليه وآله، فجعل لـها ما لنبيه من العصمة والطهارة، وجمعها وإياه تحت سقف واحد، وأنزل فيهم قرآنه، وبيّن إرادته وأمره في إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الرجس والذنب وكل نقيصة قد تصل اليهم، فهم معصومون بعصمة اللـه لـهم، وذلك لِما أريد لـهم من دور ومسؤولية هداية الأمة ليكونوا بعد النبي صلى الله عليه وآله هداة **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** [1].

شأن النزول وموقع الآية

وهنا نبحث عن شأن نزول جملة **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللـه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**، وهل أنها جاءت في ذيل الآيات المتقدمة، أم أنها آية مستقلة لا ربط لـها بما تقدمها من الآيات، وأن شأنها يغاير شأن ما تقدّمها، وموقع ومكان نزولـها يختلف عن مكان نزول تلك الآيات، وكذلك زمن نزولـها عن زمن نزول ما تقدمها، أم أن الزمان والمكان وشأن النزول واحد في جميعها، إذ إنّ كل هذا يؤثر تأثيراً مهماً في كون هذه الجملة هي جزء آية، وبالتالي هي تتبع ما تقدمها من الآيات، أم أنها آية منفصلة ومستقلة في جميع ذلك، وبه يتبيّن شأنيّة وخصوصيّة هذه الآية المباركة،فالبحث يقع في أمرين.

---

(١) الرعد: ٧.

الأمر الأول: في من نزلت الآية

من خلال ما قدّمنا في الدليل الثاني من القول الثالث، من الروايات الواردة في كيفيّة وسبب نزول الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نتعرف على أمر تتفق عليه جميع الروايات بلا استثناء، هو كون الآية نزلت في شأن أشخاص معيّنين،هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولا تجد رواية من الروايات حتى الضعيفة السند تُدخل شخصاً آخر غير الصفوة المطهّرة، ولو كان لبان، بل لاشتهر ونقل في كلّ مكان، كما أن الواضح من الروايات أنه لم يدّع أحد دخوله معهم عليهم السلام، بل ما تناقلته الروايات هو خروج وإخراج من أراد الدخول فيهم، فهذه رواية السّيدة عائشة ونقلها للواقعة، وإرادتها الدخول معهم وفيهم عليهم السلام ومنع رسول الله صلى الله عليه وآله ومقالته لها: (تنحي)، وأم سلمة رضي الله عنها وإخراج رسول الله صلى الله عليه وآله لها وقوله: (إنك على خير)، فضلاً عن بقية زوجاته صلى الله عليه وآله، وكذلك رواية زيد بن أرقم وإخباره أن الآية نزلت في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين دون غيرهم، إذ هم المعنيون بالأهل لا زوجاته صلى الله عليه وآله، لانصراف الأهل عنهنّ، فخروجهنّ كما هو واضح من كلام زيد بن أرقم تخصّصاً،فكيف يمكن الادعاء أن الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله والحال أنها منصرفة عنهنّ.

الأمر الثاني: مكان النزول

ما طالعتنا به الروايات الواردة في المقام هو كون الآية نزلت في مكان معيّن، فمجموعة من الروايات وهي المستفيضة قد بيّنت ذلك المكان الذي نزلت فيه الآية، والبعض الآخر من الروايات وهو الأقل ساكتة عن بيان

المكـان، ولا يوجـد معـارض للـروايات المقـيّدة بالمكان، وواضح في المقام حمل المطلق على المقيد، بمعنى حمل الروايات الساكتة عن بيان المكان على الروايات المبيّـنة لـه، وهـذه النتـيجة نتيجة منطقية لا يختلف عليها أحد. أما الروايات الساكتة عـن المكـان فهـي روايـة السـيّدة عائشة، حيث بيّنت أنها نزلت في مجموعـة خاصة وهي ليست منهم، بل إن الآية لا تشملـها، ولفظ أهل البيت مقتصر على عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام، وقد سكتت عن بيان مكان النزول، فـلم تبـيّن أنهـا نزلـت في أيّ بيـت مـن بيوتات النبي صلى الله عليه وآله، ولم تدّع أن الآية نزلت في بيتها، ولم تنف نزولـها في بيت غيرها من الزوجات.

والـرواية الثانـية هـي روايـة واثلـة بـن الأسقع التي مرّ ذكرها في رواية السيّدة عائشـة، مـا ذكـرناه مـن رواية أحمد بن حنبل في مسنده، وهي كذلك سـاكتة عن المكان فلا تنفي ولا تثبت، وعليه فهي مطلقة تقيد بتلك الروايات المثبـتة لـلمكان، أو عامـة تخصص بتلك الروايات الخاصة. وعلى فرض وجود المعارض من الروايات في إثبات مكان آخر غير بيت أم سلمة رضي الله عنها إلا أنها لا تختلف في أنهـا نزلت في شأن علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام، وهذا المعارض عـلى فـرض وجوده فهو لا يصمد أمام الاستفاضة في الروايات الدالة على أن المكان هو بيت أم سلمة رضي الله عنها.

وأمّـا باقي الروايات الواردة فهي عن أم سلمة رضي الله عنها، وهي الروايات الخاصـة المثبـتة لما سكتت عنه تلك الروايات، وهو المكان، فكل هذه الروايات والـتي أثبتـنا صـحّة أسـانيدها على مباني القوم في الجرح والتعديل، تذكر أن الآية نزلت في بيت أم سلمة رضي الله عنها، حيث ورد فيها ‹ ثم في بيتي نزلت هذه الآيـة ›، إذ المكـان هـو بيـت أم سلمة رضي الله عنها، فبيتها هو البيت الذي اختاره

اللـه عز وجل على سائر بيوتات زوجات النبي ﷺ، ومما لاشكّ فيه أن اختيار اللـه عـز وجـل للمكان ليس لأمر عبثي أو عشوائي والعياذ باللـه، وإنما هو اختـيار خـاص للمكانة التي تتمتّع بها هذه المرأة الصالحة بها وللخصوصيات الـتي تميّزت بهـا دون سـائر الزوجات، فهذا شرف خصّه اللـه بها، إذ جعل تلك الإرادة العظيمة في بيتها، فكان بيتها محطّ تلك الإرادة ومستودعها.

فالمكـان هـو بيـت أم سـلمة رضي الله عنها ولم تـدّع زوجـة مـن زوجـات الـنبي ﷺ أن المراد بالبيت في الآية هو بيتها، وقد يرشدنا إخبارها رضي الله عنها بما قالـه رسـول اللـه ﷺ لـهـا مـن أنهـا ليسـت من أهل البيت، وأنه ﷺ لم يدخلـهـا معهـم، بـل ونهيه لـها من الدخول معهم، وعدم ادّعائها هذا المقام الخطير، وإنما ذكرت الأمر كما كان ولم تزد فيه ولم تنقص، وقد يكون ذلك هو السبب العمدة لاختيار الباري جل شأنه بيتها دون سائر البيوتات.

الثالث: أهل البيت عليهم السلام في الأحاديث النبوية

وفي هـذا الدلـيل نتعرف على ما جاء في الروايات من لفظة أهل البيت ومـن هـو المـراد بهـا، ومـا قـيل في حـق أهـل البيت عليهم السلام ودورهم في الدين وامـتداد بقـائهم الشـريف كهـداة ما بقي الدين، وهل هذا ينسجم مع ما لو كان المراد منهم نساء النبي ﷺ.

فالمتـبادر مـن لفـظ أهل البيت هم خاصة النبي ﷺ، وهـم علي وفاطمة وذريـتهما عليهم السلام ذرّية رسول اللـه ﷺ، وقد استفاضت كتب الحديث وتواترت الروايات التي جاءت في بيان خصوصيّتهم، وبيان حقّهم وفضلـهم ودورهم في حفـظ الأمة من الضلالة، ومعالم الدين من الاندراس، وأمرت بلزوم اتباعهم فضـلاً عن مودتهم المفروضة بنص القرآن في قولـه عزّ من قائل: **﴿ذَلِكَ الَّذِي**

يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

فأكّد النبي صلى الله عليه وآله على الدور العظيم المنوط بأهل البيت عليهم السلام، والذي به حفظ الله الدين وأَتمّ النعمة وأقام الحجة، حيث انّهم سبيل الأمان للأمة من الضلال والانحراف، ولو لا وجودهم المبارك في هذه الأمة في خط موازٍ مع القرآن الكريم لما استقامت الأمة، ولما تمت النعمة وأكمل الدين، ذلك لأن أهم مقوّم لبقاء الدين وهداية الأمة هو رجوع الأمة للقرآن وتمسكها به والذي هو حبل ممدود بين السماء والأرض، وبين الخلق والخالق، وأهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الباري مع القرآن، فهما بمثابة صمّام الأمان للأمة يمنعها من الانزلاق والانحراف والضلال.

حديث الثقلين

عن حذيفة بن أسيد الغفاري أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: ((**يا أيها الناس إني فرط لكم وإنكم واردون الحوض، حوضي عرضه ما بين صنعاء وبصرى، وفيه عدد النجوم قدحان من ذهب وفضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني العليم الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض**)). رواه الطبراني بإسنادين، وفيهما زيد بن

---

(١) الشورى: ٢٣.

الحسن الأنماطي وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم وبقية رجال أحدهما رجال الصحيح، ورجال الآخر نصر بن عبد الرحمن الوشاء وهو ثقة [١].

ثنا أبو بكر ثنا عمرو بن سعد أبو داود الحفري عن شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ((**إن الخليفتين من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**))[٢].

هذا الحديث والذي ورد في صحاح أهل سنّة الجماعة ومسانيدهم بطرق بلغت حدّ التواتر، وأسانيد متعددة منها الصحيح والحسن والمعتبر، ورُوي في أكثر من سبعين موضع، اقتصر هنا على ذكر بعض هذه المصادر تفادياً للإطالة [٣].

فقبل رحيل المصطفى ﷺ من هذه الدنيا والتحاقه بالرفيق الأعلى أودع في الأمة الميزان والخليفة والثقل الذي إن رجعت إليه وتمسّكت به لن تضلّ أبداً، وإذا تركته فلن تعرف طريق الهداية والفلاح والنجاح، وهذا الثقل العظيم هو عبارة عن أمرين متلازمين لا ينفكان، وكلّ منهما مبيّن للآخر وشارح له ومؤيّد له، وهما كتاب الله الحبل المتين والركن الركين

---

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٣٦٣.

(٢) السنة لابن أبي عاصم ٢: ٣٥٠، رقم ٧٥٤.

(٣) قد أفردت لهذا الحديث العظيم بحثاً خاصاً يقع في هذه السلسلة ـ سلسلة الدفاع عن العقيدة ـ وذكرت هناك جميع المصادر التي وقعت عليها خلال بحثي والمناقشة في أسانيده وبقيّة المباحث المتعلقة به.

والنور المتصل بالسماء وهو التشريع الإلهي المودع، وعترته صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام الذين لا ينفكون عن القرآن ولا يختلفون معه ولا يخالفونه، وهم الهداة إليه والدالين عليه والمبيّنون حدوده، وهذا الإيداع للأمة كما بينه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى لا تنحرف وراء أقاويل المبطلين وتنجرف مع تأويل الضالين.

وهذان الخليفتان المودعان في الأمة لا يمكن إبدالهما بغيرهما أو الرجوع إلى أحدهما دون الآخر، حيث قال صلى الله عليه وآله: ((**ما إن تمسكتم بهما**)) لا بأحدهما، إذ قدْ ضلّ من أبدل القرآن بغيره ولم يرجع إليه، كما قد ضلّ أولئك الذين تخلّوا عنهم عليهم السلام ورجعوا إلى غيرهم. فدور أهل البيت عليهم السلام كدور القرآن في الحفاظ على الأمة من الضلال والانحراف، وأعظم به من دور يصون الأمة في كل زمن، وهو مصداق قوله عزّ وجل: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [1]. وقد بين هذا الحديث الشريف عظم منزلة أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم حيث قرنوا بالقرآن، وهو الوحي الإلهي المنزل على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه بيان كل تشريعات السماء التي بلّغها رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه مالا يعلمه إلا الله ورسوله والراسخون في العلم، فلو لم يكونوا هم الراسخون في العلم، ولو لم يكونوا معصومين منزّهين عن الخطأ والزلل، ولو لم يكونوا الهداة المشار إليهم في الآية المتقدمة الذكر، ولو لم يكونوا الأمان الحقيقي للأمة، ولو لم يكونوا خلفاء الله في أرضه وسمائه كما القرآن لما قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن الذي يقول تعالى عن وجوده: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَه**

(١) الرعد: ٧.

لَحَافِظُونَ﴾[١]. فهـم والقرآن في كفة واحدة، وكما أمرنا باتباع القرآن كذلك أمـرنا باتباعهم والتمسك بهم لنكون ممن يشمله قولـه تبارك وتعالى: **﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللـه وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللـه عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾** [٢]. حيث التمسك بهما يحقق عدم الضلالة التي حذّر رسول اللـه ﷺ الأمة من الوقوع فيها بعدم التمسك بالثقلين.

فمقتضى العدلية ومقتضى الملازمة، ومقتضى اشتراط المعيّة في النجاة هـو تماثل صفات الثقلين وتطابقهما، وإلاّ لما تعادلا ولما تلازما، إذ مقتضى اختلاف الصفات الفرقة، وعلى ضوء هذه القاعدة العقائدية النبوية الناصعة من الصادق الأمين ﷺ المنبئ عن إرادة رب العالمين وهي تماثل صفات الثقلين، فكما أن القرآن المنزل معصوم من الزلل والخطأ، حيث إنه **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [٣]، فكذلك العترة مطهّرة معصومة من الرجس والزلل والدنس والخطل ومسّ الشيطان، وكما أن القرآن تبيان لكل شيء وعلم لا ينزف، فكذلك هم أهل البيت عليهم السلام لأنه **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾** [٤]، فلا يشتبه عليهم آياته وسوره ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، بل علمهم راسخ يحيط بتأويله ويحفظ بقاءه.

كما لو رجعنا إلى لفظة [**عترتي**] الواردة قبل لفظة أهل بيتي في الرواية

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) لقمان: ٢٢.

(٣) فصلت: ٤٢.

(٤) العنكبوت: ٤٩.

المتقدمة،لعرفنا أن هناك تخصيصاً واضحاً لمفهوم أهل البيت عليهم السلام، حيث يمكن أن يقال دخول الزوجة في الأهل كما ادّعاه البعض، ولكن من الواضح عدم دخول الزوجة في العترة والتي هي مساوية لأهل البيت، وكذا في الرواية اللاحقة.

حديث من سرّه

أخرجه الطبراني في معجمه، والرفاعي في مسنده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **((من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوالِ علياً من بعدي وليوالِ وليّه وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي))**[1].

فدور أهل بيته عليهم السلام وهم عترته كما هو واضح من الرواية، هو دورهم كما أوضحته الرواية السابقة، من أن التمسك بهم هدى، ومفارقتهم ضلال.

---

(١) وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متعدّدة ومفاد واحد، ولقد رواه الكثير أذكر بعضهم: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢: ٣٧. مجمع الزوائد ٩: ١٠٨. حلية الأولياء ١: ٨٦، ٤: ١٧٤، ٤: ٣٤٩، ٤: ٣٥٠. تالي تلخيص المتشابه ٢: ٤١٧. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٩، رقم ٤٦٤٢. المعجم الكبير ٥: ١٩٤، رقم ٥٠٦٧. لسان الميزان ٢: ٣٤، رقم١١٨. التدوين في أخبار قزوين ٢: ٤٨٤. الإصابة ٢: ٥٨٧، رقم٢٨٦٧. ينابيع المودة: ١٤٩. المناقب للخوارزمي: ٣٤. تاريخ ابن عساكر ٢: ٩٥. كنز العمال ٦: ٢١٧، رقم ٣٨١٩. وغيرها العديد.

قـال ﷺ: **((في كـلّ خلـف من أهل بيتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هـذا الديـن تحـريف الضـالين، وانـتحال المـبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم على اللـه فانظروا من توفدون))**[١].

وهـذا الحديـث واضـح الدلالـة على أن أهل البيت عليهم السلام ليس المقصود مـنهم نسـاء النبي ﷺ، بل ولا هنّ داخلات فيهم، حيث لا يمكن تصوّر بقاء زوجاتـه في كـل خلـف مـن أمـته، ولا يعقل أن يُرجع الأمة بأسرها إلى نسائه ويكـون زمـام أمرها بيد نسائه ﷺ، لأن هذا يتطلّب منهن التواجد في المجتمع والتصـدي لسدّة الإفتاء وبيان أحكام الدين والخروج من بيوتهن، وقد أمرهنّ اللـه في الآيـات السابقة بالبقاء في البيت وملازمة الستر **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾**[٢]. خصوصاً وقد روى كلّ من الفريقين مـن قول رسول اللـه ﷺ، حيث روى الحاكم بسنده إلى الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قـال: **((ثـم عصـمني اللـه بشيء سمعته من رسول اللـه صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم لما هلك كسرى قال: من استخلفوا. قالوا: ابنته، قال: فقال: لن يفـلح قـوم ولوا أمرهـم امرأة،قال: فلما قدمت عائشة ذكرت قول رسول اللـه صـلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم فعصمني اللـه به))**[٣]. فهل يمكن أن يرتكب

---

(١) أخـرجه المـلى في سـيرته كمـا في تفسير قولـه تعالى **﴿وقفوهم إنهم مسؤلون﴾**: ٩٠ نقلاً عن الصواعق المحرقة.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٨، رقم ٤٦٠٨.

رسول اللـه صلى الله عليه وآله ما استقبحه من قوم كسرى من تولية امرأة عليهم.

حديث السفينة

ومـا جاء من حديث السفينة الذي روي من طرق عديدة وصحيحة، قال الحاكم في مستدركه:

أخـبرنا ميمون بن إسحاق الـهاشمي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا المفضل بن صالح عن أبي إسحاق عن حنش الكناني، قـال: سمعـت أبـا ذر يقـول وهو آخذ بباب الكعبة: ((**ثم أيها الناس من عرفني فأنـا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**)). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [1].

وذكر المناوي في فيض القدير الحديث بزيادة وعلّق عليه، فحريّ بالذين يـنكرون مكانة أهل البيت عترة المصطفى صلى الله عليه وآله ودورهم في الحفاظ على الدين، وأنهـم الـثقل العظيم مع القرآن الكريم المودعان في الأمة لتستقيم، ولا تميل إلى قول المبطلين والجاهلين، حريّ بهم أن يتدبروا في كلماته، فمع عدم توثيقه لــهذا الطـريق بصـورة كاملة وإثباته للحديث بطريق آخر صحيح، إلا أنه لا يـتردد فيما قالـه في دور أهل البيت عليهم السلام الذي حكاه حديث الثقلين والسفينة وغيرهما، فقال: قال الـهيثمي فيه رشدين بن سعد اختلف في الاحتجاج فيه، وأبـو حفـص صـاحب أنس مجهول: ((**إن مثل أهل بيتي فاطمة وعلي وابنيهما وبنـيهما أهـل العـدل والديانة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها**

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٧٣، رقم ٣٣١٢.

هلك)).

وجه التشبيه أن النجاة ثبتت لقوم نوح عليه السلام ولأمته بالتمسك بأهل بيته وجعلهم وصلة إليها ومحصوله الحث على التعلق بحبهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم، والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستحق النيران لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم وبرأهم من الآفات، وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى ومعدن التقى.

واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحث على التمسك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنة حتى يردوا معه على الحوض. انتهى(١).

ففي هذه الرواية بُيّن من هم أهل البيت عليهم السلام بذكر أسمائهم وذريّتهم والرواية ليست بتلك الدرجة من الضعف، فالمراد من رشدين كما هو الظاهر أنه أبو الحجاج رشدين بن سعد المهري، فهو وإن ضُعِّف إلا أن جماعة وثقوه واعتمدوا روايته، ولا يمكن القول بأنهم يتركون الرواية عن المجروحين ولا يعتمدونها، لأننا نقول: ما أكثر من روى عنهم البخاري ومسلم، فضلاً عن غيرهما من الضعفاء ومع ذلك اعتُمدت روايتهم وتجاهلوا الجرح فيهم

---

(١) فيض القدير ٢: ٥١٩.

واعتبروا روايتهم من الصحاح [١]. وأما أبو حفص فهو مردد بين جماعة.

وقال في موضع آخر:

ثم الترمذي بإسناد أقوى منه من حديث أنس وصححه ابن حبان من حديث عمار ((**لأهل بيتي ‹زاد في› مثل سفينة نوح (في رواية) في قومه من ركبها نجا (أي خلص من الأمور المستصعبة) ومن تخلف عنها غرق (وفي رواية) هلك**)). ومن ثم ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كلّ زمن لا يكون إلا منهم، ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة جدّهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في معادن الطغيان [٢] انتهى.

وقد أجمع علماء الإسلام على صحة حديث السفينة، وأنه من الأحاديث المتواترة، وقد أورده من أعلام الفريقين ما يربو عددهم على المائة من الحفاظ وأئمة الحديث وأرباب السير والتاريخ، ولم نسمع قائلاً قال بأن المراد من أهل البيت هم نساء النبي صلى الله عليه وآله، أو حتى شمول اللفظة لهنّ (رضي الله عنهنّ).

نكتة شريفة

قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [٣].

---

(١) للاستفادة والاطلاع على ماذكرنا يمكن الرجوع إلى كتابنا ‹ توثيق رواة الصحاح › وكتاب ‹دلائل الصدق› لآية الله العلامة الشيخ محمد حسن المظفر قدس سره.

(٢) فيض القدير ٥: ٥١٧.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

تلاحَظ الظرافة في التعبير القرآني دخول الجار والمجرور على أهل البيت عليهم السلام ، فجعل المفعول به الأول الرجسَ، أي يُبعدُ الرجسَ عن أن يصل إليهم لا أن يبعدهم عن الرجس، لأنهم ليسوا مقبلين عليه، بل هم مطهّرون في أنفسهم، وهو تعالى لا يمكّن الرجس من الإقتراب إليهم، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾** [١]، ولم يقل ليصرفه عن السوء، ذلك لأن الله علم منهم الاستقامة فزادهم لطفاً، فمن يهتدِ يزده الله هدى.

والإرادة في الآية تكوينية لا تشريعية، إذ لو كانت تشريعيّة لما اختصّت بهم، والآية فيها حفاوة وتخصيص ونعمة خاصة بهم، ولم نعهد من الشريعة أنهم مكلفون بأحكام شرعية خاصة كي تكون إرادة تشريعية، بل لو افترضنا الإرادة تشريعية لكان تخصيصهم بأحكام شرعية خاصة دال على خصيصة فيهم عليهم السلام دون غيرهم.

---

(١) يوسف: ٢٤.

باقي الأئمة عليهم السلام وآية التطهير

وهنا نسأل، بعد إثبات خصوصيّة الآية بالخمسة المطهرين، محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهل يمكن أن تشمل الآية بقيّة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام؟

من خلال ما تقدّم من الروايات الواردة في أهل البيت عليهم السلام اتضحت مكانتهم عليهم السلام ودورهم في الأمة، وكيف أن وجودهم الشريف له أهميّته الكبرى لإرساء قواعد الدين والحفاظ على التشريع والقرآن الكريم، وكيف أنهم الثقل الثاني ومن دون التمسك بهم لا تأمن الأمة من الضلال والانحراف والضياع.

إن آية التطهير تفيد فيما تفيده العصمة والطهارة والتنزيه لتلك المجموعة المطهرة، التي تعلّقت الإرادة التكوينية بإذهاب الرجس عنها وتطهيرها من كل دنس ورجس وذنب، فالآية أخذت في اعتبارها عنوان أهل البيت، أي القربى، وعنوان آخر هو أن المدار في الآية على التطهير بمعنى العصمة، فلو كنّا نحن والآية ففي نفسها مطلقة، وإن كانت منطبقة على قضية خارجية، ولكن ليست خارجية محضة، لأنها ليست مقيدة بأسماء عَلَم خاص، وإنما عنوان مشير خارجي قابل للتوسعة،فلو كنا نحن والآية فليس فيها حصر بالخمسة المطهرين عليهم السلام نعم مورد نزولها الخمسة وهو قابل للتوسعة لتشمل القربى الذين ينطبق عليهم العنوان الثاني ـ أعني العصمة ـ، ولكن ليست التوسعة الجزافية التي يرتكبها البعض لتشمل القربى جميعهم من آل عقيل

وآل العباس وغيرهم، لأن أولئك لا ينطبق عليهم العنوان الثاني، فهي مختصة بالقربى المعصومين عليهم السلام ،فلا تأبّي لشمولها للأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام ، المتّصفين بالعنوانين ـ أعني القربى والعصمة ـ في الآيات القرآنية الأخرى، كما في آية القربى والخمس والأنفال وغيرها من الآيات، فالآية من باب تطبيق الكلي على مصاديقه، فلا ينافي عمومه لغيره، وقد ورد عنهم أنه لو ماتت الآية بموت من نزلت فيه لمات القرآن، وإن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر.

وظاهر النصوص المذكورة ليس محض تطبيق ـ أهل البيت ـ عليهم عليهم السلام ، ولا نزولها فيهم عليهم السلام ،بل تخصيصها بهم، فتكون كسائر الآيات المختصة بهم كآية الولاية والصادقين وأهل الذكر والمودة وغيرها، التي لا يلزم موتها لأنهم باقون ما بقي القرآن هادياً ومرجعاً وحجة على الخلق.

والحصر في الخمسة المطهّرين عليهم السلام إنما هو لنكتة العصمة فيهم وخصّهم بها، ولذلك فرّق بينهم وبين باقي القربى، وإذ كانت بلحاظ العصمة فتكون هي والقربى مجتمعة في نوع خاص، وحيث ثبت من الآيات الأخرى أن الصفتين موجودتان في فئة خاصة ـ أعني العصمة والذرية ـ فتكون الآية تعم وأن هذه المقامات الأولية يرثها غيرهم من الذرية المطهرة، ولذلك يستشهد الإمام الصادق بالتأويل ويستشهد بقوله تعالى: **﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾** [1].

ما نخلص إليه: أن الآية خاصة في أهل البيت المقربين عليهم السلام ، وأن الله

---

(١) الأحزاب: ٦.

تعـالى خصهم بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وبذلك عصمهم وجعلـهم مـع القـرآن الكـريم الـذي لا يأتـيه الـباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم والقـرآن هـداة، ولا تتحقق الـهداية للأمة إلا باتباعهما، وذلك لما أراده لـهم مـن هدايـة الأمـة وبقـاء الديـن، ولا يأمر الباري تعالى باتباع من قد يضل أو يزيغ عن الحق، ولذلك كانت العصمة لـهم وفيهم.



مودة أهل البيت عليهم السلام فريضة قرآنية



قال تعالى:

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

---

(١) الشورى: ٢٣.

تفسير القربى في الآية

القول الأول:

والقائل به عكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم، قال الشعبي: أكثر الناس السؤال علينا في هذه الآية، فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها فكتب: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان أوسط الناس في قريش، فليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، فقال الله له: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** إلا أن تودوني في قرابتي منكم، أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني، فالقربى ها هنا قرابة الرحم، كأنه قال: اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة. قال عكرمة: وكانت قريش تصل أرحامها، فلما بعث النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قطعته، فقال: صلوني كما كنتم تفعلون فالمعنى على هذا: قل لا أسألكم عليه أجراً لكن أذكركم قرابتي منكم فاتبعوني لقرابتي منكم.

القول الثاني:

والقائل به الحسن البصري وقتادة، وهو: إلاّ أن يتوددوا إلى الله عز وجل ويتقربوا إليه بطاعته، فـ ((القربى)) على هذا بمعنى القربة، يقال: قربة وقربى بمعنى كالزلفة والزلفى، وروى قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم **((قل لا أسألكم على ما آتيتكم به أجراً إلاّ أن تودوا وتقربوا إليه بالطاعة))**. وروى منصور وعوف عن الحسن **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** قال: يتوددون إلى الله عز وجل ويتقربون منه بطاعته.

القول الثالث:

أن الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فنزلت هذه الآية وأمرهم بمودة نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وصلة رحمه، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قالوا: **﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[(١)] فأنزل الله تعالى: **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾**[(٢)] فنسخت بهذه الآية وبقوله: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾**[(٣)] وقوله: **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾**[(٤)] وقوله: **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾**[(٥)] قاله الضحاك والحسين بن الفضل، ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

القول الرابع:

وقد أجمع أهل العلم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام الشيعة الإمامية على أن المقصود بالقربى في الآية،هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام ، وذكر عن ابن عباس ذهابه إلى ذلك، وذهب إليه جمع من علماء وأئمة أهل سنة

---

(١) الشعراء: ١٠٩.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) ص: ٨٦.

(٤) المؤمنون: ٧٢.

(٥) الطور: ٤٠، القلم: ٤٦.

الجماعة.

الكلام في الأقوال وردها

تفنيد القول الأول:

وهذا القول هو قول من أراد دفع الآية عن أهل البيت عترة النبي وقرابته عليهم السلام، والتي تبيّن عظم مقامهم ومكانتهم وفضلهم في الدين، وكيف أن مودّتهم مفروضة من الله على الخلائق أجمعين، وأنها نجاة من النار وسبب لدخول جنة رب العالمين لكونها حسنة عظيمة في الميزان كما سنبين لاحقاً، وذلك عداوة من أولئك وحسداً لهم على ما آتاهم الله من فضله فقال أولئك: إنما ذلك أن العرب بأسرها قرابة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأمرهم عز وجل بمودتهم لقرابته منهم.

فنقول:

أولاً: إن القرآن يشهد على إبطال هذا القول، وذلك لأنّ الله عز وجل قال: **﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** فكان الخطاب بذلك لجميع المسلمين من العرب والعجم والترك والروم وغيرهم، من قريش وغيرها ممّن أسلم ويسلم إلى يوم الدين، وليس الخطاب للعرب أو لقريش وأهل مكة خاصة، كي يقال: إن كل العرب من قريش وغيرها لهم قرابة مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم إنه هل الآية خاصة بمن كان في ذلك الزمان وأنها تموت بموتهم وتصبح لا أثر لها وتكون بمثابة الكلام الذي لا ينفع ـ معاذ الله من هذا القول ـ أم أنها قرآن يقرأ آناء الليل وأطراف النهار وأنه حجة على الخلائق أجمعين إلى قيام يوم الدين، فتكون مودة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وذريته الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فرضاً من الله عز وجل على جميع المسلمين فيكون من أبغضهم أو عاداهم أو سبهم أو آذاهم فقد خرج من جملة المؤمنين وخالف أمر الله العظيم وكتابه المبين وما افترضه فيه على المؤمنين من عباده من مودّة النبي المصطفى وآله صلى الله عليه وآله المعصومين.

ثانياً: هناك فرق بين قوله تعالى [في القربى]، وبين لو قيل [للقربى]، فلو قال للقربى لصحّ ما ذهبوا إليه من أن يراعوا قرابة النبي صلى الله عليه وآله منهم عليهم السلام، فيكون القول فاتبعوني لقرابتي منكم، وأما قوله تبارك وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله: [في القربى] فيكون المعنى لا أسألكم على التبليغ أجراً إلا أن تودوا قرباي وأهل بيتي. كما ولا يستقيم المعنى من قوله [في القربى] ويريد بها قرابته منهم.

تفنيد القول الثاني:

وهذا القول أوهن من أن يرد عليه، فما ذكر من الروايات الصحيحة والمستفيضة من طرق الخاصة والعامة ما يكفي لإسكات هذا القول، والذي لا يذهب إليه إلاّ من كان ديدنه صرف كلّ آية نزلت في آل البيت عليهم السلام عنهم كالحسن البصري، والّذي يمكن للمتتبّع أن يقع على ما قلنا فيه من صرفه كل فضيلة عنهم عليهم السلام وذلك من خلال تتبع آرائه وأقواله في ما أجمع عليه المسلمون من فضائلهم عليهم السلام، وأعجب من أولئك، إذْ كيف يَجمَعون بين تفسير القربى بمعنى القرابة، وتفسيرها بمعنى القربةُ والعبادة، مع ما روي بطرق عديدة من أن المعنِي بالقربى [علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام]، بل كيف يجمعون بينها وبين ما جاء في القرآن من ذكر [القربى] كما في قوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى..﴾** وقوله تعالى: **﴿مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُوله مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِله وَلِلرَّسُولِ**

﴿وَلِذِي الْقُرْبَى..﴾ وغيرها من الآيات، فهل يقولون بأن [القربى] هنا أيضاً بمعنى التقرّب إلى الله، أو قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش والعرب، أم أن المقصود فيها هم أهل البيت عليهم السلام ؟!!. بل لَمْ يرد لفظ وهيئة[القربى] في القرآن بالمعنى الذي ذهبوا إليه هنا، من كون معناها هو القربةُ لله تعالى وعبادته، وما ورد في القرآن من القربى جميعها جاء بمعنى الأهل.

تفنيد القول الثالث:

فقد اتفق المفسرون على أن القربى هم أهل البيت عليهم السلام ، وقد ذهب النواصب إلى أن هذه الآية منسوخة، ورد عليهم الثعلبي في تفسيره بأنه لا وجه لنسخها، وكيف تكون منسوخة والحال أن محبة أهل البيت من جملة أصول الدين وأركان الإسلام، وخلاف ذلك كفر موجب للخروج من الإسلام، والدليل عليه ما رواه عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وآله ، في الرواية التي ستأتي، فإذا كان حب آل محمد بهذه المرتبة، وكان أجر أداء الرسالة الذي لا يوازنه ولا يعادله شيء، فكيف تكون الآية منسوخة؟ (١)

وهنا نذكر ما قاله الثعلبي في تفسيره وجماعة، وقد روى الطبري والخزاعي والفقيه الشامي باسنادهم إلى ابن عمر، وذكر الزمخشري ذلك في تفسيره،وهذا ما نقله القرطبي في تفسيره فقال:

---

(١) شرح أصول الكافي ٧: ٥٥ ح: ٧ وبتصرف منا فيه، وهذه الآية في سورة حم السجدة وذكرها الكميت في قصيدته البائية المعروفة:

وإنّ لنا في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

قال الثعلبي: وليس بالقوي ـ قولهم: إن الآية نسخت ـ، وكفى قبحاً بقول من يقول: إن التقرّب إلى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأهل بيته منسوخ، **وقد قال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: من مات على حب آل محمد مات كلاهما، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل محمد فلا نصيب له في شفاعتي.**

قلت: وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال: وقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: من مات على حب آل محمد مات كلاهما، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة [١].

---

(١) تفسير القرطبي ١٦: ٢٢و٢٣. الطبري في بشارة المصطفى: ٣٦، والخزاعي في أربعينه ح ١.

وقال أبو العلا في تحفة الأحوذي: قال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك أن هذه الآية منسوخة والقول بنسخ هذه مرضي، لأن مودة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين، وهو قول السلف فلا يجوز المسير إلى نسخ هذه الآية[1].

وأخرجه في البحار ٣٩: ٢٧٧، ح ٥٥ عن جمال الدين الفقيه الشامي في كتاب الأربعين عن الأربعين جميعاً بإسنادهم إلى ابن عمر. ورواه الثعلبي في تفسيره " الكشف والبيان " في تفسير الآية، وأخرجه عن الثعلبي: ابن طاووس في الطرائف: ٢٩ عنه البحار ٢٧: ١١١ ح ٨٤. والأمور تسري في أرجح المطالب: ٣٢٠، وابن الفوطي في الحوادث الجامعة: ١٥٣. والقندوزي في ينابيع المودة: ٢٧ و ٢٦٣ و ٣٦٩. وولي الله اللكهنوي في مرآة المؤمنين: ٥.

(١) تحفة الأحوذي ٩: ٩١.

القربى هم أهل البيت عليهم السلام

وأما القول الرابع وهو ما ذهب إليه شيعة أهل البيت عليهم السلام وأكثر أهل العلم، وقد استُدلَّ على هذا القول بعدة أدلة، منها:

أولاً: مورد النزول

قد يقال: إن السورة مكية، ونزلت قبل زواج علي من فاطمة، وولادة الحسن والحسين عليهما السلام، فكيف تقولون: إن الآية نزلت فيهما وذريتهما عليهم السلام.

فإنه يقال:

أولاً: نعم السورة مكية كما قيل، ولكن هل كلّ السورة مكيّة، أم أنّ بعض آياتها مدنية؟ فقد قال ابن عباس ـ وكما يسمى ترجمان القرآن ـ وقتادة: هي مكية إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة**﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** إلى آخرها [١].

ثانياً: ما جاء من الآيات التي تذكر قربى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عرّفهم بفعله وقوله صلى الله عليه وآله، كما في آيتي القربى في سورة الأنفال[٢]، والحشر[٣]، وكذا في آية إيتاء ذي القربى حقه[٤]، والتي نزلت خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله في إعطاء فاطمة عليها السلام فدكاً. وما جاء من الروايات العديدة في المقام وغيره، والتي يُسأل فيها صلى الله عليه وآله عن هؤلاء القربى المعنيين بالمودة في الآية أو غيرها، فيقول صلى الله عليه وآله: هم علي

---

(١) تفسير القرطبي ١٦: ١.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الإسراء: ٢٦.

وفاطمة وابناهما أو ذريتهما، فكلها تكشف وتوضح أنّ المعنيّ منها هم المجموعة المعصومة المطهّرة أهل آية التطهير والمباهلة عليهم السلام.

أما مورد النزول فقد ذُكرت عدّة روايات في المقام، نذكر بعضها.

جاء في تفسير أبي حمزة الثمالي: عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فنقول له: إن تَعرك أمور، فهذه أموالنا تحكم فيها من غير حرج ولا محظور عليك، فأتوه في ذلك، فنزلت **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** فقرأها عليهم وقال: تودّون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله، فقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾** فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم، فأنزل الله **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾** الآية، فأرسل في أثرهم فبشرهم وقال: **﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** وهم الذين سلّموا لقوله صلى الله عليه وآله[1].

وجاء في شرح الأخبار للقاضي المغربي: إن الأنصار اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله إنك قد جئتنا بخير الدنيا والآخرة وهذه أموالنا خذها إليك جزاء لما جئتنا به، أو ما شئت منها، فأنزل الله عز وجل: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** يعني على ما جئتكم به إلاّ المودّة في القربى[2].

---

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي / أبو حمزة الثمالي: ٢٩٣. البرهان ٤: ٨١٩.

(٢) شرح الأخبار، للقاضي النعمان المغربي ١: ١٧٢.

وقال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: لما قدم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه، فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن أخيكم، وتنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له، ففعلوا ثم أتوه به فنزلت **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** (١).

وقال الطبري في تفسيره: حدثنا أبو كريب قال: ثنا مالك بن إسماعيل قال: ثنا عبد السلام قال: ثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخروا، فقال ابن عباس أو العباس: ـ شك عبد السلام ـ لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فأتاهم في مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار، أَلَمْ تكونوا أذلة فأعزكم الله بي، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أَلَمْ تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفلا تجيبوني، قالوا: ما تقول يا رسول الله، قال: ألا تقولون أَلَمْ يُخْرجك قومك فآويناك، أوَلَمْ يُكذِّبوك فصدّقناك، أوَلَمْ يَخْذِلوك فنصرناك، قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** (٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن ابن عباس قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مالاً فبسط

---

(١) تفسير القرطبي ١٦: ٢٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٥: ٢٥.

يده لا يحول بينه وبينه أحد، فأتوا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقالوا: يا رسول الله إنّا أردنا أن نجمع لك من أموالنا، فأنزل الله جل ذكره **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** فخرجوا مختلفين، فقال بعضهم: إنما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم، فأنزل الله جل ذكره: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾** إلى قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾** فعرض لهم التوبة إلى قوله **﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾** رواه الطبراني في الكبير والأوسط[1].

ثانياً: الروايات الواردة في المقام

۞ في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، لما أنزل الله عز وجل **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين نودّهم، قال: علي وفاطمة وأبناؤهما. ويدلّ عليه أيضاً ما روي عن علي عليه السلام، قال: شكوْتُ إلى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا. وعن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، **حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعةً إلى أحد مِنْ ولد عبد المطّلب ولم يجازه عليها، فأنا أُجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة** [2].

---

(١) مجمع الزوائد ٧: ١٠٣. المعجم الأوسط ٦: ٤٩، رقم ٥٧٥٨. المعجم الكبير ١٢: ٣٣، رقم ١٢٣٨٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٦: ٢١.

۞ عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم، قال: علي وفاطمة وابناهما. رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحّان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع وقد وثّقوا كلهم وضعّفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات[١].

۞ حدثنا داود بن عمرو، نا شريك عن سالم عن سعيد ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: ثمّ لا تُؤذوني في قرابتي[٢].

۞ حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا حرب بن الحسن الطحان ثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش، عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: لما نزلت ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: ثم يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال: علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم [٣].

۞ ((**وأحبوا أهل بيتي لحبي**)) أي إنّما تحبّونهم لأنّي أَحببْتهم بحبٍّ الله تعالى لهم، وقد يكون أمراً بحبهم، لأن محبّتهم لهم تصديق لمحبّتهم للنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [٤].

---

(١) مجمع الزوائد ٧: ١٠٣.

(٢) مسند ابن الجعد ١: ٣٢١، رقم ٢١٩٢.

(٣) المعجم الكبير ١١: ٤٤٤، رقم١٢٢٥٩. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٩، رقم١١٤١.

(٤) فيض القدير ١: ١٧٨.

۞ لكـنه اكتسب بعض قوة بوروده من طرق أخرى، كمال [أُخْلُفوني] بضـمِّ الـهمـزة واللاّم، أي كونوا خلفائي في أهل بيتي، علي وفاطمة وابنيهما وذريـتهما، فـاحفظوا حقـي فـيهم، وأحسـنوا الخلافـة علـيهم، بإعْظـامِهِمْ، واحترامهـم، ونُصـحهم، والإحسان إليهم، وتوقيرهـم والتجاوز عن مسيئهم، ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).

۞ حدثـنا أبـو عـبدالـلـه محمـد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مخلد، ثنا محمـد بـن عـثمان بـن أبـي شيبة، ثنا عبادة بن زياد، ثنا يحيى بن العلاء عن جعفـر بـن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى اللـه علـيه ـ وآلـه ـ وسلم، فقال: يا محمد أعرض عليَّ الإسلام، فقال: تشهد أن لا إلــه إلا اللــه وحـده لا شـريك لــه، وأن محمداً عبدُهُ ورسولـه، قال: تسألني علـيه أجـراً، قـال: لا، إلاّ المودّة في القربى، قال: قرباي أو قرباك، قال: قرباي، قـال: هـاتِ أُبـايعك، فعـلى من لا يحبّك ولا يحب قرباك لعنة اللـه، قال صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم: آمين (٢).

ثالثاً: معنى القربى في القرآن

ولـو تتبعـنا مـا جـاء في القـرآن الكريم من لفظ وهيئة القربى في جميع الموارد، وماذا يقصد به، وهل أنه يغاير المعنى هنا أو هو نفس المعنى، فقد ورد في الآيـات المـباركات هـذا اللفـظ أحـد عشر مرة في موارد مختلفة من القرآن الكريم، وهي.

---

(١) فيض القدير ١: ٢١٩.

(٢) حلية الأولياء ٣: ٢٠١.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللـه وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾(١).

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾(٢).

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾(٣).

﴿وَاعْبُدُواْ اللـه وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾(٤).

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلـه خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللـه وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

﴿إِنَّ اللـه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) النساء: ٨.

(٤) النساء: ٣٦.

(٥) الأنفال: ٤١.

(٦) النحل: ٩٠.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾(١).

﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾(٢).

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٤).

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٥).

ويلاحظ فيها كلها دون استثناء أن [القربى] الواردة فيها هي بمعنى الأهل والأقارب والرحم، ولم تأت بمعنى العبادة والتقرب والقربة إلى الله كما ذهب إليها الحسن البصري ومن لفّ لفيفه وسلك طريقه في صرف كل

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) الروم: ٣٨.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) الحشر: ٧.

فضيلة عن أهل البيت عليهم السلام.

ثـم لـو تتبعـنا هذا اللفظ والـهيئة في الروايات المروية عن رسول اللـه صلى الله عليه وآله لوجدناهـا تحمـل نفس المعنى الذي جاء في الآيات، من أن المراد بالقربى هـم العـترة والأهـل، فما نخلص إليه في هذه النقطة، هو أن القوم يسعون إلى صـرف كـل فضـيلة عن أهل البيت عليهم السلام قدر استطاعتهم، وهذا هو منهجهم المتّبع دائمـاً، ولذلـك حـاولوا صـرف الآية عنهم وإعطاءها معنى لا ينسجم والمقـام، ولا يصـحّ في اللغـة، والفـائدة الأخـرى هـي أن المراد بالقربى في آية المودة، هم أهل البيت علي وفاطمة وذريتهما عليهم السلام.

ما قيل في تفسير الآية

ذُكر قولان في تفسير الآية:

القول الأول:

ما ذكره الطبري في تفسيره، إذ قال: القول في تأويل قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ الله عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَه فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [1]، يقـول تعـالى ذكـره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددتـه للذيـن آمـنوا وعملـوا الصـالحات في الآخـرة مـن النعـيم والكرامة البشـرى الـتي يبشـر اللـه عباده الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بطاعته فيها **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم: قـل يـا محمـد للذيـن واليـت في الساعة من مشركي قومك:

---

(١) الشورى: ٢٣.

لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم بـه، والنصـيحة الـتي أنصـحكم، ثواباً وجزاء وعوضاً من أموالكم ويقظة إلا المودة في القربى[1].

فهـذا التفسـير يـزعم بـأن الـنبي صلى الله عليه وآله يخاطب المشركين، وليس الخطاب موجهاً إلى المسلمين.

ويرد عليه:

أولاً: أن هـذا التفسـير للآيـة يتناسـب مـع القول بأن معنى القربى هو قـرابة رسـول اللـه صلى الله عليه وآله من قريش، وأنه يناشدهم بقرابته منهم بأن يراعوها فيتبعونه في دعوته لقرابته منهم، وأن لا يؤذوه لما بينه وبينهم من رحم ونسب وقـرابة. وقـد بيّـنا بطـلان هذا القول السَقيم، وأنه لا ينسجم والقربى المرادة هـنا، والـتي أوضـحها الباري في آيات عديدة، من أمره تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله بإعطاء الخمـس والفـيء والحـقّ لـذي القـربى، فهـل يمكن أن يتصوّر أن هذه الموارد والأمـر ـ بإعطاء ذي القربى حقه ـ أن المقصود منها مشركو قومه لقرابتهم منه صلى الله عليه وآله، أم أن المقصـود مـنها قـرباه في جمـيع هـذه الموارد، كما أجمع عليه أرباب التفسير من الفريقين، وأن القربى في الآية هنا بنفس معنى تلك الموارد.

ثانـياً: كـيف يطلب النبي صلى الله عليه وآله من المشركين أن يتبعوه في دعوته لقرابته مـنهم، والحـال أنـه في خطابـه صلى الله عليه وآله هنا يخاطب المسلمين الذين سلّموا بصدق الدعـوة وأسـلموا واتّـبعوه، فـيقول لا أسـألكم عـلى ما بلّغتكم من الرسالة والدعـوة أجـراً، ولَـمْ يقـل: إنّـي لا أسـألكم عـلى ما سوف أُبلّغكم إيّاه من

---

(١) تفسير الطبري ٢٥: ٢٢ـ ٢٣.

الرسالة والدعوة أجراً، أو ما أبلغتكم إياه ولم تؤمنوا به ولم تعتقدوه.

كذلك لو كان مراده ﷺ قرابته منهم وقرابتهم منه، لما صحّ منه القول [في القربى] بل للزمه أن يقول [قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة **للقربى**] والحال أنها جاءت بلفظ [في القربى].

ثالثاً: إن هذه الآيات نزلت في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ كما قال ـ حبر الأمة ـ ابن عباس، وقتادة، وكما أجمع عليه أهل العلم من الشيعة الإمامية، لِما ورد من الروايات الصحاح في هذا الشأن، فأيّ مشركين يخاطبهم النبي ﷺ بالأجر؟!! كما أن الخطاب منه ﷺ صريح وواضح حيث إنه لا يسأل مَن بلّغهم أجراً على ما بلّغ حيث قال: **﴿لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾**، أي على ما بلّغتكم إياه.

رابعاً: أنّه على القول بأن القربى هنا بمعنى الطاعة والتقرب إلى الله تعالى، فإنه لا يصلح أن يخاطب به المشركين، ذلك لأن المشركين يرون ما هم عليه من عبادة الآلهة تودّداً إلى الله بالتقرب منه، وأن ما يدعوهم إليه النبي ﷺ ليس كذلك، وهذا ما يحكيه القرآن من قولهم **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾** (١). كما أن اللفظ في الآية هو المودة وليس التودد، فالمراد بالمودة حبهم لله في التقرب إليه، ولم يرد في القرآن إطلاق المودة على حبّ العباد لله تعالى، بل ورد في آيات الله ما هو عكس ذلك حيث قال تعالى: **﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾** (٢). وقال تعالى: **﴿وَهُوَ**

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) هود: ٩٠.

الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١].

القول الثاني:

عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إن لك يا رسول الله مؤنة في نفقتك وفي من يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها باراً مأجوراً، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج، قال: فأنزل الله تعالى إليه الروح الأمين، فقال: يا محمد **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** يعني أن تودوا قرابتي من بعدي فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلاّ ليحثنا على قرابته من بعده، وإن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل مِن حدث؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه، فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الآية فبكوا، واشتدّ بكاؤهم، فأنزل الله تعالى **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[٢].

---

(١) البروج: ١٤.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦١٩، تفسير نور الثقلين ٥: ٩ ـ ١٠، ح٩.

ما سألتكم من أجر فهو لكم

قد يقال:

لا خلاف في أن الآية نزلت في مكة في شأن أهل البيت وبيان مودّتهم وأن خطاب النبي ﷺ كان مع المسلمين يبيّن لهم مقام أهل بيته ﷺ، ولكن عندما هاجر إلى المدينة وجاءه الأنصار فأراد الله أن يُلحقه بإخوانه الأنبياء فنسخت آية المودة بقوله تبارك وتعالى على لسان نبيه: **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[1] **﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾**[2]، حيث إن أنبياء الله عليهم السلام قالوا**﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [3]. كما يقول القرطبي في تفسيره[4]. وهذا هو المعهود من الأنبياء عدم طلبهم الأجر على أدائهم الرسالة والتبليغ: **﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾** [5].

فإنه يقال:

إن قوله تبارك وتعالى: **﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**، لا يخلو من أمرين، فإما أن هذه الآية

---

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) ص: ٨٦.

(٣) الشعراء: ١٠٩ـ ١٢٧ـ١٤٥ ـ ١٦٤ـ ١٨٠.

(٤) تفسير القرطبي ١٦: ٢٢.

(٥) يس: ٢١.

نزلت قبل آية المودة، وإما أنها نزلت بعدها، وعلى كلا الأمرين لا تكون ناسخة، حيث إنها لو كانت قبل آية المودة فإنها بالتأكيد لا تكون ناسخة، وإذا نزلت بعد آية المودة كذلك لا تكون ناسخة، بل مؤكدة، حيث لا يتعارض أو يتصادم مفادها مع مفاد آية المودة، بل إنه يعزّز مفادها، ذلك لأن هذه الآية شارحة ومبينة للأجر الوارد في آية المودّة، وموضحة نفعه وأنه عائد إلى المسلمين لا إلى النبي صلى الله عليه وآله، وهو بمثابة الرد على مقولة المنافقين الذين تناجوا فيما بينهم ووصل أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بإخبار الله له وإنزاله فيهم قرآناً حيث قال: **﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ الله شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** إذ إنهم يظنون بأن النفع والأجر راجع إلى رسول الله وآل بيته، فهذه الآية تبين أن الأجر الذي فرضه الله على الأمة بأمر منه تبارك وتعالى إنما نفعه عائد لنفس المسلمين، لا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فعليه لا تكون سنّة وأجر النبي الذي فرضه الله تعالى في آية المودة مغايرة ومخالفةً لسنن إخوانه من الأنبياء في عدم طلب الأجر لأنفسهم لتبليغهم وأدائهم ما أمر الله من الدين والنبوة والدعوة إليها.

وحيث إن الأجر عائد نفعه عليهم وليس على رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك فإنّ مودة القربى منشأ هداية للأمة، وترك مودتهم ضلال، كما يبينه حديث الثقلين من أن التمسك بهم هدى وتركهم ضلال، ومن أراد الله بدأ بهم وسلك طريقهم، إذ هم كما قال تعالى: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إلاّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾** [1]، فكانوا هم السبيل إليه والمسلك إلى

---

(١) الفرقان: ٥٥.

رضوانه، فمودتهم سبيل إلى الله، فمن أراد سبيل الله فإنه يمر عبر مودتهم والتمسك بهم والسير في خطاهم عليهم السلام.

وأما قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فهو رد على المنافقين الذين ردوا عليه ولم يقبلوا منه مودة أهل بيته صلى الله عليه وآله وكما جاء عن علي بن محمد عن علي بن العباس عن علي بن حماد عن عمرو بن شمر عن جابر رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: وقال لأعداء الله أولياء الشيطان أهل التّكذيب و الإنكار ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ يقول: متكلفاً إن أسألكم ما لستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: ما أنزل الله هذا وما هو إلا شيء ينفق به، يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا، ولئن قتل محمد أو مات لننزعنّها من أهل بيته، ثم لا نعيدها فيهم أبداً [١].

---

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٣٩٩، رقم ٣٨٣.

مفاد الآية

قال عبد الله بن عباس: فلما نزل ذلك اجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين فرض الله عز وجل علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وولدهما. فنص النبي ﷺ على بيان ذلك من قرابته المذكورة مودتهم والمأثور بها، وروى ذلك عبد الله بن العباس، وهو واحد من القرابة، وأخرج نفسه بذلك من القرابة المفروضة مودتهم.

فقُرنت مودة القربى والتي هي الولاء والحب والاتّباع والعمل وفق ما يعملون والسير كما يسيرون، قُرنت بجميع ما بلغه النبي ﷺ من أصول الدين وفروعه، وما يقاس بالأصول ويجعل في مقابلها فإنه لا يقل شأناً عنها، وإن وجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة لهم عليهم السلام، ولا يأتي بالمودة أحد وهو مؤمن مخلص إلاّ استوجب على الله الجنة لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**[1].

فالأجر لا بدّ أن يعادل ويوازن المعوض، فإذا كان مودّة أهل

---

(١) الشورى: ٢٢ ـ ٢٣.

البيت عليهم السلام أجر أتعاب الرسالة، وعمدة أتعاب الرسالة تبليغ أصول الدين من التوحيد والمعاد وغيرها، وقيمة العمل إنما بمنفعته، فإذا كانت أجرة هذا العمل بلحاظ التوحيد والنبوة والمعاد، فكيف لا تكون مودتهم عليهم السلام من أصول الدين، وإذا كانت هذه الثلّة من أهل البيت عليهم السلام اعتبرت مودّتهم من فرائض أصول الدين، فهل يعقل أن يكونوا عصاة لرب العالمين، أو غواة عن سبيله.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**. قال: الأئمة عليهم السلام [(١)].

وفي حديث الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلس المأمون ذكر آية المودة، فقال: قول الله جل جلاله: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** وهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وخصوصية للآل دون غيرهم، وذلك أن الله حكى في ذكر نوح عليه السلام في كتابه: **﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾** [(٢)] وحكى عز وجل عن هود عليه السلام أنه قال: **﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** [(٣)] وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿قل﴾** يا محمد **﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدّون عن الدين

---

(١) الكافي ١: ٤١٣، ح٧.

(٢) هود: ٢٩.

(٣) هود: ٥١.

أبداً، ولا يرجعون إلى ضلال أبداً، وأخرى أن يكون الرجل وادّاً للرجل فيكون بعض أهل بيته عدواً له، فلا يسلم قلب الرجل له، فأحب الله عز وجل أن لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين شيء، ففرض عليهم مودة ذوي القربى، فمن أخذ بها وأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأحب أهل بيته، لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه، ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته، فعلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه؛ لأنه قد ترك فريضةً من فرائض الله فأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟

فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وآله: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** فقام رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إن الله قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يجبه أحد. فقال: أيها الناس، إنه ليس بذهب ولا فضة، ولا مأكول ولا مشروب. فقالوا: هات إذن. فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أما هذا فنعم فما وفى بها أكثرهم.

وما بعث الله عز وجل نبياً إلا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً، لأن الله عز وجل يوفي أجر الأنبياء، ومحمد صلى الله عليه وآله فرض الله عز وجل مودة قرابته على أمته، وأمره أن يجعل أجره فيهم ليودّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عز وجل لهم، فإن المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل.

فلما أوجب الله ذلك ثقل لثقل وجوب الطاعة، فتمسك بها قوم أخذ الله ميثاقهم على الوفاء، وعاند أهل الشقاق والنفاق، وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حدّه الذي حده الله، فقالوا: القرابة هم العرب كلها وأهل

دعوته.

إلى أن قال عليه السلام: وما أنصفوا نبي الله صلى الله عليه وآله في حيطته ورأفته، وما منّ الله به على أمّته، مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه، أن لا يودّوه في ذرّيته وأهل بيته، وأن لا يجعلوهم منهم كمنزلة العين من الرأس حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وحباً لنبيه، فكيف والقرآن ينطق به ويدعو إليه؟ والأخبار ثابتة بأنهم أهل المودة، والذين فرض الله مودتهم، ووعد الجزاء عليها، أنه ما وفى أحد بهذه المودة مؤمناً مخلصاً إلاّ استوجب الجنة، لقول الله عز وجل في هذه الآية: **﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** مفسراً ومبيناً [١].

وقال الزمخشري في الكشاف: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سئل من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة عليهما السلام وابناهما عليهما السلام.

وقال أيضاً في تفسير الآية: **اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية. فقيل: يا رسول الله ! من قرابتك هؤلاء الذين وجب علينا مودتهم ؟ قال: علي وفاطمة، وابناهما، حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي. ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد**

---

(١) (الأمالي) الشيخ الصدوق قدس سره: ٦١٩.

مـات مغفـوراً لـه، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات عـلى حـب آل محمد مات مؤمناً مستكملاً للإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير [١].

وواضـح أن الأمـر لـيس عـلى إطلاقـه، بمعـنى لـيس المراد من القربى والأهـل والعـترة كـل مـن انتسب إلى النبي صلى الله عليه وآله بصلة وقرابة، لأنه يدخل في أولـئك الفاسـق والظالم والضال وغيرهم، ولا يعقل أن يطلب النبي صلى الله عليه وآله بأمر مـن اللـه تـبارك وتعـالى مـودّة الفسـقة والظالمين والضالين، وإنما عنى بأهل البيت والقربى فئة خاصة وجبت علينا طاعتهم ومودّتهم، وهـم الذين وجبت الصـلاة علـيهم كلّمـا صـلّينا عـلى الـنبي صلى الله عليه وآله كمـا أُمرنا بذلك ـ كما بيّنا ـ ولـيس أولـئك إلاّ المطهَّـرين مـن الـرجس عليهم السلام، الحاضـرين في الأمة حضور القـرآن، والـباقين بـبقائه، والـهـادين بهديه، والمبينين لمحكمه ومتشابهه، فهم ((**موضع سره**[٢]**، ولجأ أمره، وعيبه علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال ديـنه، بهـم أقـام الحـناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه**)). وليسوا كغيرهم، ولا يـرقى إلى مقـامهم أحـد ومن نازعهم في حقهم ومقامهم ومراتبهم التي رتّبهم اللـه علـيها يكـون مصـداقاً لمـا قالـه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((**زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هـذه الأمـة، أحـد ولا يسـوى بهـم مـن جرت نعمتهم عليه أبدا. هم أساس الديـن، وعمـاد الـيقين، إلـيهم يفـيء الغـالي، وبهـم يـلحق التالي، ولـهم**

---

(١) الكشاف ٣: ٤٦٧. تفسير القرطبي ١٦: ٢١.

(٢) سرّه: أي سر الله تبارك وتعالى، وكذا الضمير فيما بعدها.

خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة))[١].

وقال عليه السلام أيضاً في موضع آخر: **((هم عيشُ العلمِ وموتُ الجهلِ، هم الذين يُخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم..، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه..، وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدين، ألسِنَة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العُطاش..، وفيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا))**[٢].

وهذا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يثبت هذا الادعاء الخاص الذي لم يدّعهِ أحد إلاّ هم ذوو القربى عليهم السلام، فهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولا يحق لغيرهم أن يدخل فيهم، لأن ذلك اختصاص منه تبارك وتعالى خصهم به دون غيرهم.

فقد أورد الطبري في تفسيره: حدثني محمد بن عمارة قال: ثنا إسماعيل بن أبان قال ابن يحيى المري عن السدي عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**. قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم [٣].

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله **في أماليه** فيما روي في دخول بنات رسول

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٧، من خطبة له بعد انصرافه من صفين.، رقم ٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٥١، رقم ٨٧.

(٣) تفسير الطبري ٢٢: ٨.

الله صلى الله عليه وآله إلى الشام: فلما دخلنا دمشق أدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشفات الوجوه، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء فمن أنتم؟

فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله، فأقيموا على درج المسجد حيث يقام السبايا، وفيهم علي بن الحسين عليهما السلام، وهو يومئذ فتى شاب، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام.

فقال لهم: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة. فلم يأل عن شتمهم، فلما انقضى كلامه.

قال له علي بن الحسين عليهما السلام: أما قرأت كتاب الله عز وجل؟

قال: نعم.

قال: أما قرأت هذه الآية: ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾؟

قال: بلى.

قال: فنحن أولئك. ثم قال عليه السلام: أما قرأت: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾؟

قال: بلى.

قال: فنحن هم. قال: فهل قرأت هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾؟

قال: بلى.

قال: فنحن هم.

فرفع الشامي يده إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أتوب إليك ثلاث

مـرات، اللـــهم إنـي أبـرأ إليك من عدو آل محمد، ومن قتلة أهل بيت محمد لقد قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل[1].

وما نخلص إليه: أن القربى في الآية هم آل الرسول ﷺ، الذين خصّهم اللـــه بالـتطهير وجعلـــهم هـداة للأمة من الضلال، وأن مودّتهم سبيل اللـه للـهدايـة، وأن اللـــه تـبارك وتعـالى مـيّز نبيه المصطفى ﷺعلى سائر الأنبياء عليهم السلام في أجر التبليغ، بأن جعل أجره مودة أهلـه وذرّيته عليهم السلام لِما ميّزهم تبارك وتعـالى بـأن جعلـهم هداة للأمة وسبيل هداية إليه، فهم عليهم السلام هداة للأمة بعد الـنبي ﷺ، ولا يخلـو زمن منهم لكونهم مع القرآن، وهم معصومون مطهّرون وهـداة مهديـون لِمـا فرضـه اللـه علينا من مودّتهم، ولو لَمْ يعلم اللـه تعالى اسـتقامتهم وطهـارتهم لمـا جعـل مودّتهـم أجر النبي ﷺ لِما بلّغه من الدين ولَما فرض علينا مودّتهم ولزوم اتباعهم وسلوك سبيلـهم.

فإن اللـه تعالى طهّر أهل بيت نبيه ﷺ قال اللـه عز وجل: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** وقد نزلت فيهم بالاتفـاق كمـا مر، وسألـهم أجر المودة، فقال عز وجل: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** ولم يقبل أموالـهم حين عرضوا عليه ثلثها، وفي جعل أجر نعمة الرسالة ـ التي لا نعمة أعظم منها ـ مودة ذوي القربى دلالة واضحة على وجوب متابعتهم وكمال حبهم وتعظيمهم.

---

(١)ـ الأمالي ـ الشيخ الصدوق رحمه الله: ٢٣٠.



أهل البيت عليهم السلام

والولاية العامة



وقال تعالى:

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

صدق الله العلي العظيم

---

(١) الحشر: ٧..

(٢) الأنفال: ٤١.

ما قيل في تعريف الفيء والخمس

قال الشيخ ﷺ **في المبسوط: الفيء:** مشتق من فاء يفيء إذا رجع، والمراد به في الشرع فيما قال الله تعالى: **﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾** الآية، ما حصل ورجع عليه من غير قتال ولا إيجاف بخيل ولا ركاب، فما هذا حكمه كان لرسوله خاصة، وهو لمن قام مقامه من الأئمةعليهم السلام ليس لغيرهم في ذلك نصيب..، **وأما الغنيمة:** فمشتقّة من الغنم، وهو ما يستفيده الإنسان بسائر وجوه الاستفادة، سواء كان برأس مال أو غير رأس مال، وعند الفقهاء أنه عبارة عما يستفاد بغير رأس مال.

فإذا ثبت ذلك فالغنيمة على ضربين:

أحدهما: ما يؤخذ من دار الحرب بالسيف والقهر والغلبة.

والآخر: ما يحصل من غير ذلك من الكنوز والمعادن والغوص وأرباح التجارات، وغير ذلك [١].

وقال القاضي ﷺ **في دعائم الإسلام:** روينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال: الأرض جميعاً وما فيها لله ولأوليائه، ولأتباعهم من المؤمنين، فما كان من ذلك في أيدي الكفّار والظّلمة، فأولياء الله أهله وهم مظلومون فيه ومأذون لهم بالقتال عليه، ومن ذلك قوله عز وجل: **﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾**[٢]، **﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ**

---

(١) المبسوط للشيخ الطوسي ﷺ ٢: ٦٤ كتاب قسمة الفيء والغنائم.

(٢) الحشر: ٧.

مِنْهُمْ﴾[١]. فالفيء رجوع الشيء إلى موضعه وأهله، ومنه قيل: فاء الفيء إذا رجع الظل، ومنه قول الله عز وجل: **﴿فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [٢]. أي رجعوا، قيل له: إن الناس يقولون إنها نزلت في المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم من مكة لقول الله عز وجل عقب ذلك: **﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾** [٣]، قال: هي في أولئك وفي جميع من كان في مثل حالهم ممن ذكرناه، ولو كانت فيهم خاصة لم يكن يؤذن في الجهاد لغيرهم، فأمرُ الله عز وجل بقتل المشركين أمرٌ عامٌ[٤].

وقال الطبري في تفسيره: فأمّا الفيء فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك، وهو ما ردّه عليهم منها بصلح لا إيجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيئاً، لأن الفيء إنما هو مصدر من قول القائل: فاء الشيء يفيء فيئاً إذا رجع، وأفاءه الله إذا رده، إن الذي ورد حكم الله فيه من الفيء يحكيه في سورة الحشر إنما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل[٥].

---

(١) الحشر: ٦.

(٢) البقرة: ٢٢٦.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) دعائم الإسلام / للقاضي النعمان المغربي ١: ٣٧٥.

(٥) تفسير الطبري ١٠: ٢.

مفاد الآيات

إن اللـه قد أعزى الأموال العامة لذي القربى في الفيء،بل الأرض كلها حتى ما هو تحت يد الكفّار، عدا ما استثني من الملكيات الفردية، وذلك لمنع الطبقية وأن يستأثرها الأغنياء، فكأنما يقول: إن الأموال العامة أوكلت إليهم وذلك لتحقيق العدالة بين البشر، وهذه العدالة لا تتم إلا بهم، كما بيّن ذلك في سورة يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [١]، وهذا الحفظ لا يكون إلا بقَدر علمه، أي ضمن إدارة مالية دقيقة كما وتدل الآية على عصمتهم، لا العلمية فحسب بل جامعيتهم للعلوم، وإلا كيف تكون سياسة النقد المالي في النظام الصناعي والمهني والزراعي، وكذلك العصمة العملية، ذلك لأنه إذا كانت العدالة فقط فلا ضرورة بقاء ولا ممانع العصيان، فقد يفسق أو يخطئ العادل، وقد علل الباري إعزاءه لهم هذا الدور وذلك لأجل العدالة، وهذا المعلول لن يتحقق إلا بتوفر صفات خاصة فلو كان علماً تجريبياً فلا يكفي، لأن العلم البشري يخرج من مطبة الحياة اليومية، إذ ليست السياسة المالية فقط تؤثر في العدالة، وإنما حتى الجانب الأمني وغيره يؤثر في الاقتصاد، وهذا يعني أنهم أُعطوا علم كل شيء، وذلك لتحقق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية و...

وحيث لم يُعز هذا المنصب لهم وقد تقمّص هذا المقام من ليس أهلاً له، لذلك نرى الفارق الطبقي عند من حكم الأمة، فتوزيع الأول سهماً خاصاً لنساء النبي ﷺ وغيرهنّ، ثم جاء الثاني واستحل أكثر ووسع الدائرة

---

(١) يوسف: ٥٥.

أكبر مما كانت عليه في عهد الأول، إذ فرق بين المهاجرين والأنصار، والعربي والأعجمي وغيرهم في العطاء، ثم في عهد الثالث انفجر الوضع بعد أن استفحل الأمر واستشرى المرض، فلم تتم ولن تتم العدالة إلا بإعزاء هذا المنصب إلى أهله أهل البيت عليهم السلام الذين أُعطوا هذا المنصب من الله تعالى إذ هم القربى المعنيون في الفيء والخمس.

وقد أشار بعض مشايخنا إلى ما في هذه الآية من ملحمة قرآنية، تثبت من خلالها عصمة أهل البيت عليهم السلام، وذلك لما أناطه الله لهم من التصرف المالي.

لمن الخمس والفيء

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وهي قول الله عز وجل: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**. قد علمتم أن الله **﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾**[1]. فما هو لله من خمس الغنائم إلى من يرد؟ قالوا: إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فما هو لله وللرسول إذا قبض الرسول إلى من يرد؟ قالوا: إلى أُلي القربى من الرسول واليتامى والمساكين وابن السبيل. قال: واليتيم إذا بلغ أشده، والمساكين إذا استغنوا، وابن السبيل إذا لم يحتج إلى من يرد مالهم؟ قالوا: إلى ذوي القربى من الرسول، قال: فقد علمتم معاشر الخوارج أن ما غنمتم من غنيمة من جهاد أو في احتراف أو في مكسب أو مقرض

---

(١) الحج: ٤٧.

الخياط أو من غنم يكسب فهو لي، والحكم لي فيه وليس لأحد من المسلمين عليّ حقّ، وأنا شريك كل من آمن بالله ورسوله في كل ما اكتسبه، فإن وفّاني حق الله الذي فرضه الله عليه كان ممتثلاً لأمر الله وما أنزله على رسوله، ومن بخسني حقي كانت ظلامتي عنده إلى أن يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. قالوا: صدقت وبررت وأصبت وأخطأنا، والحق والحجة لك [١].

قال الثعلبي: وقيل: [هم] الذين تحرم عليهم الصّدقة ويقسّم فيهم الخمس، و هم بنو هاشم وبنو المطلب، الذين لم يفترقوا في الجاهلية والإسلام، يدل عليه قوله عز وجل: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** وقوله عز وجل: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾** قال يحيى بن الحسن: وهذا الوجه هو لا يتعدى علياً وفاطمة، والحسن، والحسين، فلا يشترك معهم سواهم إلا من كان من نسلهم، يدل على ذلك قوله: ((**لم يفترقوا في الجاهلية والإسلام**)) وليس يوجد من هو كذلك إلا من قال الله تعالى في حقه: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** فمن أذهب الله عنه الرجس وطهره، فذلك الذي لم يفترق في الجاهلية والإسلام [٢].

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، قال: حدثنا وكيع عن الحسن عن السدّي ((**ولذي القربى قال: هم بنو عبد المطلب**))[٣].

---

(١) الهداية الكبرى ـ الحسين بن حمدان الخصيبي: ١٤٤.

(٢) العمدة ـ لابن البطريق: ٥٣، رقم ٥٠ عن تفسير الثعلبي المخطوط: ١٦٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٥١٧، رقم ٣٣٤٥٣.

وقال عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه: عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم الجدلي قال سألت الحسن بن محمد بن علي بن الحنفية عن قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ**﴾ قال: هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخره وللرسول ولذي القربى، فاختلفوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في هذين السهمين، قال قائل: سهم ذي القربى لقرابة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، وقال قائل: سهم ذي القربى لقرابة الخليفة، واجتمع رأي أصحاب محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله وكان ذلك في خلافة أبي بكر وعمر. قلت له: قال: إنه كان يكره أن يدعى عليه خلافهما[1].

أقول: إن القوم قد خصوا الخمس بغنائم دار الحرب، وبه قد خالفوا عموم: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّه خُمُسَهُ..**﴾. ثم هل كان هذا الحكم من إعطاء الخمس والفيء ذوي القربى خاصاً فقط بزمن وجود شخص النبي الشريف صلى الله عليه وآله، أم هو حكم شرعي عام كسائر الأحكام الأخرى التي بلّغها وعمل بها النبي صلى الله عليه وآله ويستمر العمل بها إلى يوم القيامة ما لم ينسخ من الكتاب أو السنّة المطهرة، فلا يحق لأحد الاجتهاد فيه وتبديله أو تعطيله كما فعل هؤلاء بهذا الحكم الإلهي من إعطاء ذوي القربى ـ أهل البيت عليهم السلام ـ الذين خصّهم الله بهذه العطيّة منه، فمنعوهم حقهم وعطلوا هذه الآية والله عز وجل يقول: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ [2]. وبعد ذلك خصوا الخمس

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥: ٢٣٨، رقم ٩٤٨٢.

(٢) الإسراء: ٢٦.

بغنائم الحرب والله تعالى يقول: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ..﴾**.

القربى مصرف للخمس أم تصرّف فيه

هل أن ذوي القربى عليهم السلام في الآية هم مصرف للخمس والفيء كسائر الأصناف الثلاثة المذكورة في ذيل الآية، أم أنهم يتميّزون عن أولئك بأنهم لهم حق التصرّف، وأن الباري تعالى خصهم بما خص به نفسه وخص نبيّه صلى الله عليه وآله.

إن تكرار اللام المضافة إلى الذات المقدسة، ثم إلى الرسول صلى الله عليه وآله ثم القربى، من دون ذكرها مطلقاً في المصارف الأخرى يقتضي العناية وإرادة التمايز، وإن اللام الداخلة في القربى مفادها هو مفاد اللام الداخلة على لفظ الرسول صلى الله عليه وآله، ومفادهما هو مفاد اللام الداخلة على الذات المقدّسة، ولا ريب أن معناها في المورد الأول هو الولاية وسلطة التدبير التي هي أقوى من الملكية الشخصية، كما هو مقرّر في بحوث الفقه والقانون الوضعي والشرعي، والعطف السياقي للموردين الآخرين على المورد الأول دالٌ على انشعاب ولايتهم عليهم السلام من ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولاية الله تعالى، وهذا تشريف لولايتهم ومقامهم، فالتنصيص في البدء بذكر اسم الجلالة يوضح سلسلة هرم الولاية كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** [1]، بل هذا التطابق بنفسه قرينة على المفاد في

(١) النساء: ٥٩.

المقام، وأن المراد باللام لام الولاية وصلاحية التدبير ومسند القدرة والإشراف وولاية الأمر.

فذكرهم عليهم السلام هنا في الآيتين ـ أعني الخمس والفيء ـ ليس كمصرف ومورد كما هو حال باقي الأصناف المذكورين، ولو كانوا كذلك لما كان لوجود اللام أي معنى، ولكانت زائدة، ومعاذ الله من ذلك، وهذا يدلنا على أن ذكرهم هنا وتشخيصهم باللام إنما ذلك لإدخالهم في القسمين الأولين ـ أعني بذلك الله تبارك وتعالى ورسول الله صلى الله عليه وآله ـ وواضح أن الله تعالى ورسوله ليس المراد منهما مصرفاً كباقي الأصناف، فكذلك هم عليهم السلام.

وبعبارة أخرى:

إن قوله تعالى: **﴿فَأَنَّ لِله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى..﴾** يراد به الترتيب في الاختصاص، فيكون الخمس حقاً وحدانياً ثابتاً بأجمعه لله تعالى وفي طوله بأجمعه للرسول صلى الله عليه وآله، وفي طول الرسول لذي القربى، أي الإمام عليه السلام، بتقريب أن الخمس هو عبارة عن ميزانية للحكومة الإسلامية المعبّر عنها في لسان الشارع بالإمامة، والحكومة أولاً وبالذات لله تعالى: **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِله﴾** [1] وقد جعلها الله لرسوله صلى الله عليه وآله وفوّضها إليه بقوله تعالى: **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾** [2] وقد فوضها الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله واصطفاء منه تبارك وتعالى لذي القربى، فقال يوم الغدير: ((**ألستُ أولى بكم من أنفسكم قالوا: بلى، فقال: من كنتُ مولاه فعلي مولاه**))، وقال:

---

(١) الأنعام: ٥٧.

(٢) الأحزاب: ٦.

((**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا..**)) وغيرها.

فميزانية الحكومة تختص بمن له الحكومة والولاية على مراتبها، ويشهد لهذا القول ظاهر نفس الآية، فأولاً من جهة أنّ اللام كما يظهر منها الاختصاص يظهر منها كمال الاختصاص والاستقلال فيه، وثانياً من جهة أن تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر، فتقديم قوله: ﴿**لله**﴾ على قوله: ﴿**خمسه**﴾ يدلّ على اختصاص الخمس بأجمعه بالله تعالى.

وأمّا قوله: ﴿**واليتامى..**﴾ فحيث لم يُدخل عليها لام الملكية والاختصاص، فلا اختصاص للخمس بهم وليس ملكاً لهم، وإنما هي من قبيل المصارف له، وإنما ذكرت بخصوصها اهتماماً بشأنها وإشعاراً بأنّهم من لواحق الحكومة وتوابعها، وأن إدارة أمورهم من شؤون الحكومة والإمامة ولعل في عدم ذكر اللام مضافاً إلى ما ذكر نكتة أخرى أيضاً، وهي شدّة اتصالهم بالرسول ﷺ وبذي القربى عليهم السلام، فتدلّ الآية على اعتبار انتسابهم إليهما، وكما بيّن الإمام بأنهم من أهل البيت عليهم السلام.

عن أحدهما عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ قال: خمس الله وخمس الرسول للإمام، وخمس ذي القربى لقرابة الرسول والإمام، واليتامى يتامى آل الرسول، والمساكين منهم وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم [1].

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي قدس سره ٤: ١٢٥، رقم ٣٦١.

حال الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

واضح ما جرى على المسلمين بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف أصبحت الخلافة ملكاً والخليفة يستأثر بالمال العام ـ أموال المسلمين ـ لنفسه وأهله وحاشيته ومن رضي عنهم، في الوقت الذي تحنّ بطون المسلمين إلى كسرة قرص يابسة، وليس هذا إلا لسوء إدارة أولئك الرعاة، هذا على أقل تقدير وإذا أردنا أن نحملهم على الصحة، وإلاّ فحقيقة الأمر هو إبعاد أهل الحق عن مراتبهم التي رتبهم الله عليها، ولا نريد هنا الخوض في هذا الموضوع ولكن نشير إليه إشارة فقط.

والحقيقة أسوء بكثير، فهم من سنّ الطبقية، وأساءوا إدارة الأموال العامة، وأهدروا الحقوق، وأبدلوا حكم الله باجتهادهم ورأيهم، والأمة تتراجع إلى الوراء يوماً بعد يوم، فبدل أن تكون خير أمة كما أرادها الله تعالى، وبدل أن تعيش حالة الجسد الواحد، أصبحت أمة ممزّقة يسعى بعض أفرادها ـ إن لم يكن الكثير منهم ـ إلى الهروب من واقعه المأساوي واللجوء إلى أحضان القيم والأفكار والثقافات الأخرى، والتخلي عن مبادئه وقيمه لأنه صار يعتبرها عبارة عن شعارات فضفاضة لا تمت إلى الواقع بصلة، لأنه حين يقرأ تاريخ هذه الأمة العظيمة يجد أنها أمة تخلت عن أهم مبادئها وقيمها في تلك اللحظة التي رحل عنها نبيّها صلى الله عليه وآله، وأنها لم تلتزم بما الزمها الله إياه من جَعْل الأمر في موضعه وفي يد من عصمه الله تعالى وهدى، وجعله هادياً لها إلى الهدى وأماناً لها من الضلال، ولذلك فإما أن يرجع الأمر إلى أهله لتحيا الأمة من جديد كما كانت عليه في عهد نبيها صلى الله عليه وآله، وإما أن يُسْتَبْدَلَ اسم هذه الأمة التي ليس لها نصيب من الإسلام إلا اسمه، ذلك لأن أمر

الإمامة والإمام به جعل الله استقامة الأمة وأمانها وسلامة باقي أركانها، كما يقول سيّد البشر رسول الله ﷺ: ((**اسمعوا وأطيعوا لمن ولاّه الله الأمر فإنه نظام الإسلام**))(١). فهناك من ولاّهم الله أمر الدين والدنيا وبالرجوع إليهم فإنه يستقر الدين، وتسير الحياة وفق ذلك النظام الذي أراده الله للمسلمين.

ويقول سيّد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه السلام: ((**مكان القيِّم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه فإذا انقطع النظام تفرّق وذهب، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً**))(٢)، أي مكان الإمام من الدين مكان خيط السبحة كيف يحفظ الخرز من أن يفلت ويتشتت أو يبدل مكان واحدة عن الأخرى، كذلك هو الإمام مقامه من الدين يلمّه ويجمعه بذلك الجمع الذي أمر الله به، ولكن حينما لا يتولى الأمر أهله فإنه بمثابة انقطاع ذلك النظّام، ولربما يجمع الخرز من جديد، ولكن هيهات أن يجمع كما كانت كل واحدة في موضعها، فكذلك هذا الدين إذا تولى الأمر من ليس أهله لربّما يجمع هذا الدين ويبقى رسم الدين، ولكن لن يبقى الدين بذلك النظام الذي رسمه الله، ولن يبقى كما أراده الله له. ويقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((**إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين**))(٣).

فالكل يرى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية اليوم من التمزق والشتات والذلّة والإذلال، والفقر والإفقار، والطبقية والانهيار، أفهل هذا ما وعدنا به

---

(١) أمالي الشيخ المفيد رحمه الله ٢: ١٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٩.

(٣) الكافي ١: ٢٠٠، رقم ١.

القرآن، أم هذا ما بشر به المصطفى صلى الله عليه وآله، أم أن هذا يدلنا على حدوث خلل في الأمة بعد المصطفى صلى الله عليه وآله قد أوصلها إلى ما أوصلها إليه اليوم، وليس ذلك إلاّ بسبب إبعاد أهل الحق وتقمّص غيرهم لمقام الولاية والقيادة الذي خصّه الله لمن عصم واصطفى: **﴿وَقَالَ لَهمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَه الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ الله اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَالله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[1]. وهذا ما أخبر به النبي المصطفى صلى الله عليه وآله حين قال: **((فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، فنادى مناد، وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا، والآخر عترتي وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، ثم أخذ بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت أولى به من نفسي فعلي وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه))**[2].

ونقل في كفاية الأثر عن عمران بن حصين قال: **((خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً.**

فقام إليه سلمان، فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك؟

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) المعجم الكبير ٥: ١٦٦، رقم ٤٩٧١.

قال: نعم، الأئمة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، ومنّا مهدي هذه الأمة، فمن تمسّك بهم فقد تمسّك بحبل الله لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم، حتى يردوا عليّ الحوض))[١].

الطبقيّة سياسة من حكم

ولنرَ من تسلّم زمام الخلافة، ونصّب نفسه على الأمة كقائد من القادة، وانتحل منصب القيادة، وأبعد من هو أحقّ منه من السادة، ماذا فعل وكيف حكم وسيّر الأمور، وهل ما نحن فيه اليوم بسبب تلك التصرفات التي لا تمت إلى الدين بصلة.

لو تساءلنا عن دواعي اختلاف المسلمين في عهد عثمان، وهل أن البداية كانت من عثمان، أم أنه قد تمادى في ما بدأ به غيره، فاتّسع الخرق على الراقع، وأخذ المرض ينتشر في جسد الأمة حتى وصل إلى درجة عدم القدرة على تحمله، فكان من أبنائها ما كان من التمرّد على الواقع السيئ الذي لم تظن أنها تصل إليه في يوم من أيام تاريخها.

ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة طعوناً عديدة على الخليفة عمر، منها:

الطعن العاشر قولهم: إنه أبدع في الدين ما لا يجوز كالتراويح، وما عمله في الخراج الذي وضعه على السواد، وفي ترتيب الجزية وكل ذلك مخالف للقرآن والسنة، لأنه تعالى جعل الغنيمة للغانمين، والخمس منها لأهل

---

(١) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ١٣١.

الخمس، فخالف القرآن، وكذلك السنة تنطق في الجزية أن على كل حالم ديناراً، فخالف في ذلك السنة وأن الجماعة لا تكون إلاّ في المكتوبات، فخالف السنة (١).

وروى ابن الأثير في نهايته، قال: روي عن عمر بن الخطاب أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله: إنا نسمع أحاديث من يهود، تعجبنا! أفترى أن نكتبها؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أمُتَهَوِّكون أنتم؟ كما تَهَوَّكت اليهود والنصارى، لقد جئتُكم بها بيضاء نقيّة (٢).

وقال عمر: انطلقت أنا.. فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثمّ جئت به في أديم.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا في يدك، يا عمر؟

قلتُ: يا رسول الله، كتاب انتسخته، لنزداد به علماً إلى علمنا!

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى احمرّت وجنتاه، ثمّ نودي بالصلاة جامعة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢١: ٢٨١.

(٢) النهاية لابن الأثير ٥: ٢٨٢، لسان العرب ١٢: ٤٠٠، وقريب منه عدّة روايات في تفسير ابن كثير ٢: ٤٦٨ مقدّمة تفسير سورة يوسف عليه السلام، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٨٧، رقم ١٥١٩٥، شعب الإيمان ١: ٢٠٠، رقم ١٧٦، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢: ١٦١، رقم ١٤٨٨، مصنف ابن أبي شيبة ٥: ٣١٢، رقم ٢٦٤٢١ من كره النظر في كتب أهل الكتاب، السنة لابن أبي عاصم ١: ٢٧، رقم ٥٠، كشف الخفاء ١: ٤٢٢ ذيل، رقم ١١١٩. ورد بألفاظ مختلفة في عدّة من الروايات في الأبواب.

فقالـت الأنصـار: أغضِـب نبيّكم ﷺ، السلاح السلاح، فجاؤوا حتّى أحدقوا بمنبر رسول اللـه ﷺ.

فقـال: يا أيها الناس، إنّي أوتيتُ جوامع الكلِم وخواتيمه، واختُصر لي اختصاراً، ولقد أتيتُكم بها بيضاء نقيّة، فلا تتهوّكوا، ولا يقربنَّكُم المُتَهَوِّكون.

قـال عمـر: فقمـتُ، وقُلـتُ: رضـيتُ باللـه ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً.

ثم نزل رسول اللـه ﷺ (١).

وروى الخطيـب الـبغدادي بسـنده، عـن عبد اللـه بن ثابت الأنصاري ـ خـادم النبي ﷺ ـ قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ، ومع جوامع من الـتوراة، فقـال: مـررت على أخ لي من قريضة، فكتب لي جوامع من التوراة أفلا أعرضها عليك؟

فتغيّر وجه رسول اللـه ﷺ فقال:[الأنصاري]: أما ترى ما بوجه رسول اللـه ﷺ؟ الحديث (٢).

---

(١) تقيـيد العـلم ١: ٥٢ وانظـر مـا يوافقـه في جـامع بـيان العـلم ٢: ٤٢ ونقـل عن ذمّ الكلام للـهروي.

(٢) الأسمـاء المـبهمة للخطيب ٨: ١٨٩، رقم ٩٥، وخرجه المعلق من المصادر التالية: مجمع الزوائد ١: ١٧٤ بـاب لـيس لأحـد قول مع رسول اللـه ﷺ عن أبي الدرداء، وذكره في باب وجوب إتّـباعه ﷺ عـلى مـن أدركه ٨: ٢٦٢. وفي مجمع الفوائد ١: ٣٠ والذي ردّ فيه على عمر هو (عـبد اللـه بن ثابت) ونسبه إلى الطبراني في الكبير، وفي ثلاث روايات ب، رقم (١٠١٦٣ - ١٠١٦٥) والمعـترض عـلى عمر في الثانية: عبد اللـه بن ثابت، كما في المصنف لعبد الرزاق ب، رقم (١٩٢١٣) ١٠: ٣١٣ وب، رقم (٢٠٠٦٢) ١١: ١١١. قال المعلّق على الأسماء المبهمة:

وقال الجوهري: في الحديث ـ عن طريق آخر ـ أنّ عمر أتاه بصحيفة أخذها من بعض أهل الكتاب، فغضب صلى الله عليه وآله وقال: أمتهوّكون فيها يا بن الخطاب؟ (١).

فهذا نهي صريح من رسول الله صلى الله عليه وآله بعدم اتّباع من لا يهتدي بهديه ولا يقتفي نهجه، وكلّ من يعمل برأيه واجتهاده ويدع أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله فهو من المتهوّكين أو بحكمهم، ذلك لأنه ترك البيضاء النقيّة واتبع رأيه وهواه، وهذا النهي متصل إلى يومنا هذا ويسمعه أولئك الذين تخلوا عن مبادئهم وقيمهم وراحوا ينجرفون وراء تلك الفقاعات من النظريات المستوردة التي لا تستقيم سوى بضع سنين، وينكشف خطأها وفشلها وعدم جدواها، لأنها صنيعة بشر متهوّكين متحيرين لم يثبتوا على مبادئ وقيم.

وروى ابن أبي شيبة الكوفي في مصنّفه، قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي عن يزيد بن هرمز **((أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى لمن هو؟ فكتب: كتبت تسألني عن سهم ذوي القربى لمن هو، فهو لنا. قال: إنّ عمر بن الخطاب**

⬅

وفي سنن الدارمي ١: ١١٥ من طريق محمد بن العلاء. وذكره ـ مختصراً في أسد الغابة ٣: ١٢٦ الطبعة القديمة. كله نقلاً عن تدوين السنّة الشريفة للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي: ٣٤٢. وقد خرّجنا الأبواب، وقد ذكر مصادر عديدة اختصرناها تفادياً عن الإطالة.

(١) الصحاح للجوهري (هوك)، لسان العرب ١٢: ٤٠٠.

دعانا إلى أن تنكح منه أيّمنا، ونخدم منه عائلنا ونقضي منه عن غارمنا، فأبينا ذلك إلاّ أن يسلّمه لنا جميعاً، فأبى أن يفعل، فتركناه عليه))[١].

أقول: واضح كلام ابن عباس حيث يفهم من قوله بأنّ عمر منعنا حقّنا وظلمنا، وعمل برأيه في قبال نصّ الكتاب الحكيم وفعل النبي الكريم ﷺ وتصرّف في حقّ ذوي القربى بغير حجة ولا برهان، فمنع أهل الحق حقهم وأعطى من لا يحق له إعطاؤهم، وبه فتح باباً لمن جاء بعده إلى هذا اليوم ليتصرفوا بأموال المسلمين وفق آرائهم وأهوائهم، لا بما يلزمهم به النص الشرعي السماوي.

أمّا دواعي اختلاف المسلمين في عهد عثمان وأسباب مقتل الخليفة، فقد أجمع المؤرخون على أن مقتل عثمان جاء لإحداثاته، ثم فسروا تلك الإحداثات بإيثاره لأقربائه وإعطائهم الحكم والمال، وأمور أخرى، منها:

١ـ إنه أرجع الحكم بن العاص إلى المدينة بعد أن نفاه رسول الله ﷺ وممانعة الشيخين عن إرجاعه، وأعطاه مائة ألف درهم.

٢ ـ وكذا الحال بالنسبة إلى مروان، فقد أعاده مع والده، وزوّجه من ابنته أمّ أبان، ثم اتخذه وزيراً ومنحه هدايا كثيرة، منها خمس إفريقية.

٣ ـ أعطى الحارث بن الحكم [أخا مروان] ثلاثمائة ألف درهم والمهروز [٢].

٤ ـ أعطى عبد الله بن أبي سرح [أخاه من الرضاعة] جميع ما أفاء

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٥١٦، رقم٣٣٤٥٠.

(٢) وهو سوق بالمدينة تصدق بها رسول الله.

الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب، من طرابلس إلى طنجة، من غير أن يشاركه فيها أحد من المسلمين.

٥ ـ وصل أبا سفيان بمائتي ألف في اليوم الذي أمر فيه لمروان بمائة ألف من بيت المال.

٦ ـ قسّم ما أتى به أبو موسى الأشعري من أموال العراق على أهله وأقاربه من بني أمية.

٧ ـ زوج عبد الله بن خالد بن أسيد من ابنته وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه. وغيرها من الهدايا والمنح التي خصّ بها قومه وأقاربه.

ولم ينحصر إيثاره لهم في المال فقط، بل منحهم الحكم كذلك:

أـ فقد ولّى الوليد بن عقبة [أخاه لأمّه] الكوفة، وعزل عنها سعد بن أبي وقاص، وقد اعترض الناس على هذا التنصيب بقولهم: بئسما استقبلنا به ابن عفان، أمن عدله أن ينزع عنّا ابن أبي وقاص الهين اللين، القريب ويبعث بدله أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر[1]! وقال الآخر: أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد[2]!

ب ـ زاد عبد الله بن أبي سرح [أخاه من الرّضاعة] ولاية مصر بعد أن ولاّه عمر الصعيد فقط.

ج ـ وكذا نراه يضيف الشام كلها إلى ملك معاوية، بعد أن كان والياً

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٧.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٣٢.

على دمشق وحدها أيام عمر.

د ـ عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس وولّى عليهما عبد اللـه بن عامر [ابن خالـه] [١]..

فهذا التصرف الشخصي والتلاعب في الأموال العامة ومقدرات المسلمين وغيرهـا مـن الأمور التي لا تتناسب ومذاق الشارع هي من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأمة تصل إلى ما وصلت إليه اليوم من تمزق وهوان.

ولأن اللـه تعـالى أراد لـهذا الدين البقاء، وللأمة العزة والكرامة، لذلك كلّـف بهـا وكفلـها بأيدٍ أمينة، إن سارت الأمة وفق ما أراده اللـه فإنها تكون في المقدمـة، أمـا إن اتبعت الأمة هواها وعزلت ونصّبت من تراه، لا من أراده اللـه فلتندب حظها، ولتنتظر ما يصيبها من الويلات تلو الويلات.

---

(١) وضوء النبي صلى الله عليه وآله للسيد علي الشهرستاني ١: ٧٠.



آية المباهلة
والمقام الإلهي
لأهل البيت عليهم السلام



قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

---

(١) آل عمران: ٦١.

سبب النزول

أجمع علماء الإسلام وأرباب التاريخ والسير قاطبة على أن سبب النزول هو مجادلة وفد نصارى نجران لرسول الله ﷺ، وادعاؤهم بأن عيسى بن مريم هو ابن الله، وأن رسول الله ﷺ يقول ما علّمه الله إيّاه من أن عيسى عبد الله ورسول من عنده أرسله، وجعله وأمه آية. فأنكر نصارى نجران ما قاله النبي الأكرم ﷺ، فدعاهم رسول الله إلى المباهلة بأمر من الله عز وجل ليثبت قوله ويدحض إدّعاءهم وباطلهم، وبالفعل جاء يوم المباهلة، وإذا زعماء نصارى نجران السيد واسمه وهب، والعاقب واسمه عبد المسيح، وابن الحارث، قد تجمعوا واستعدوا وتهيأوا للمباهلة والملاعنة، وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ وبين يديه الحسن والحسين ومن خلفه فاطمة، ومن خلفها علي عليهم السلام، فلمّا رأى نصارى نجران وقد جاء رسول الله بأطهر من هم على وجه الأرض أدركوا خطورة الموقف وعظم الفاجعة والكارثة التي ستحل بهم إن هم باهلوهم،فقال العاقب لقومه: إن أنتم باهلتم محمداً ﷺ لفنيتم عن بكرتكم، فانتهى الأمر بدون مباهلة ورجعوا إلى بلادهم على أن يؤدوا الجزية، وصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك.

وما أجمعت عليه أخبار الخاصة والعامة هو كون المراد بـ **﴿أبناءنا﴾** في الآية هما الحسن والحسين عليهما السلام، والمراد بـ **﴿نساءنا﴾** فاطمة عليها السلام، و**﴿أنفسنا﴾** هو شخص النبي ﷺ وعلي عليه السلام. وقد أجمعت الأخبار على عدم إخراج رسول الله ﷺ لأحد غير الصفوة الخاصة من أهل بيته عليهم السلام.

ما رواه مسلم في صحيحه

حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد وتقاربا في اللفظ قالا: حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ثم أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ [1] أبا التراب. فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول له حين خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان. فقال له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوّة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر لأعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي[2].

---

(١) قد ذكرت الحديث بطوله لتعم الفائدة،كما ولنا فوائد عديدة نستخلصها من هذا الحديث، منها: كون معاوية يسب علياً ويدعو ويحرض على سبّه، وسنأتي إلى هذه الفوائد وغيرها ضمن هذه السلسة من البحوث ـ سلسلة الدفاع عن العقيدة ـ إن شاء الله تعالى

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، رقم ٢٤٠٤، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٨٥، رقم١٦٠٨، سنن الترمذي ٥: ٦٣٨، رقم٣٧٢٤. وغيرهم.

ما رواه الطبري في تفسيره

حدثنا ابن حميد قال: ثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود عن زيد بن علي في قوله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ الآية، قال: كان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين. حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الآية، فأخذ يعني النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي اتبعنا فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وليس دعوة النبي كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ، فقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: لو خرجوا لاحترقوا [(١)].

وذكر القرطبي في تفسيره

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي جادلك وخاصمك يا محمد فيه أي في عيسى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ﴾ بأنه عبد الله ورسوله ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ﴾ أي أقبلوا، وضع لمن له جلالة ورفعة، ثم صار في الاستعمال لكل الإقبال وسيأتي له مزيد بيان في الأنعام، ﴿نَدْعُ﴾ في موضع جزم ﴿ أَبْنَاءنَا﴾، دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء، وذلك أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول لهم: إن أنا دعوت فأمنوا [(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ٣: ٣٠٠.

(٢) تفسير القرطبي ٤: ١٠٤.

مفاد الآية

لِمَ احتجّ الله بالحسنين عليهما السلام وهما صغيران وترك الشيخين وهما كبيران، ولِمَ احتجّ بعلي عليه السلام وترك كبار الصحابة وبني هاشم، ولِمَ احتجّ بفاطمة عليها السلام وترك أمهات المؤمنين ونساء المسلمين ولم يشاركهنّ في هذا الموقف الخطير؟؟

وقبل الخوض في مفاد الآية المباركة لا بد أن نتعرف على معنى المباهلة، وماذا تعني، ومتى تكون.

المباهلة كما في اللغة هي نحو حلف وملاعنة يتوصّل إليها الخصمان عند نفاذ حجة كلّ منهما، وكحجّة أخيرة في الاحتجاج بينهما، وحيث إنها نحو حلف وملاعنة بين الخصمين، فلا بد أن يكون المتصدي لها هو صاحب القضية الأصلي، لا أن يقوم الوكيل أو النائب بالحلف مكان الأصيل، وهذا الأمر ليس في الدين الإسلامي أو الأديان السماوية فقط، وإنما هو كذلك في القوانين البشريّة الوضعية أيضاً.

وفي هذه الواقعة التي يقصها القرآن الكريم علينا، انبرى للحلف والمباهلة والملاعنة بأمر من الباري تعالى، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأربعة هم أهل بيته وخاصته، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولا سادس لهم.

وهنا نقول: إن هذه الصفوة المطهّرة برزت مع النبي صلى الله عليه وآله لمباهلة المشركين وملاعنتهم، فهم أصحاب الحق الأصليون وشركاء النبي في مسؤولية الدعوة وتبليغ الرسالة، حيث حمّلهم الله تعالى مسؤولية الحلف والمباهلة والاحتجاج والتصدي مع النبي صلى الله عليه وآله، وقد ألقى الله تعالى المسؤولية عليهم جميعاً ولَمْ ينفرد النبي صلى الله عليه وآله في إقامة الحجة على الدين الإسلامي ومحاجة المشركين، مع حفظ الفارق بينهم عليهم السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله من حيث المقام والنبوة

والوحي، وأن اختيار هذه المجموعة المطهرة إنما كان من الله تعالى وبأمره لنبيه صلى الله عليه وآله كما هو واضح من قوله عز وجل: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ..﴾**.

إن قلت: المعروف في المباهلة أن يدعو كل من المتباهلين أقاربه وأهله وخاصته ليباهل بهم، والنبي صلى الله عليه وآله لم يأت بشيء جديد ولا أمر خاص وإنما أتى بأهل بيته ليباهل بهم، وهذا عرف متّبع في المباهلة.

قلت: مجيء هذه الثلّة الخاصة أصحاب الكساء أهل آية التطهير عليهم السلام يكشف عن خصوصية الأمر، وإلا لِمَ لَمْ يأت النبي بنسائه وجميع أهل بيته، أليس هم خاصته أيضاً وأهل بيته كما تدّعون، فلم جاء مع تلك الصفوة الخاصة ولَمْ يشرك أحداً غيرهم، مع أنه لو جاء بعدد أكبر من هذا العدد فقد تكون حجته أبلغ في نظر سواد الناس، ولكن هذا يكشف عن أن الأمر هنا كالأمر هناك، أعني في آية التطهير، اختيار خاص من الباري جل شأنه، وتحديد منه.

فالأمر الإلهي هنا اختص ببروز ثلة خاصة للاحتجاج والحلف والمباهلة، ولم يأمر سبحانه بضم الشيخين ولا أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مع كبر سنهم، وصغر سنّ الحسنين عليهما السلام ولمّا يبلغا الحلم بحسب الظاهر، وكيف يحتج بحلف ودعوى صغيرين لم يبلغا السادسة من العمر؟ بل وكيف يصدّقان في ادعائهما بنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله، فهل شاهدا الوحي أو سمعاه كي يشهدا بما عايناه؟ ولم تُحمّل مسؤولية وحقانية الدين العظيم والرسالة السماوية على صغيرين؟ فهل ينطبق عليهما قوله تعالى: **﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾** [1] فيكون تحميلهما ذلك لما لهما من مقام ومنصب عظيم عند الله

---

(١) مريم: ١٢.

تبارك وتعالى، ولذا حمّلهما هذا الدور الذي لم يُحَمِّله أحداً من المسلمين غيرهما وأبويهما عليهم السلام.

ويا ترى ما هذا الدور الخطير الذي يتمتع به أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله كي يقرنون مع النبي بالاحتجاج وإحقاق هذا الدين، فهل أن الوحي الذي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله كان أولئك على اطلاع عليه، ولذلك قد علموا بعلم النبي صلى الله عليه وآله من الباري تعالى بأن عيسى بن مريم هو نبي من أنبياء الله وليس ابناً له، وهو الأمر الذي قامت عليه المحاجة والمباهلة، وإذا كانوا على اطلاع بالوحي فهذا لا يعني خصوصية في تلك الواقعة في أمر عيسى عليه السلام، بل ذلك يفيد اطلاعهم الدائم على الوحي وما يأتي به من الباري، وهذا إنما يعني خصوصية خاصة فيهم وأنهم شركاء في الدعوة مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وإلا لِمَ لمْ ينفرد النبي صلى الله عليه وآله بالمباهلة مع نصارى نجران للاحتجاج على حقّانيّة دعواه وصدق مدّعاه، مع أنه نبي الرسالة وصاحب الدعوة الأول، فهل هم منه صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعده، إذ هم حجج الله على خلقه بعد نبيه صلى الله عليه وآله.

وهنا ننوّه إلى مطلب مهم وهو أنهم على اطلاع على الوحي الذي ينزل على النبي صلى الله عليه وآله لا أن الوحي ينزل عليهم مستقلين، وإنما الوحي ينزل على النبي ويخبره بما حُمِّل من قبل الله تعالى، فهم عليهم السلام يسمعون ما جاء به الوحي، ذلك لكون مقامهم دون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وهذه المباهلة ليست قضية وقتيّة تصرّمت وانقضت وأكل الدهر عليها وشرب، بل هي احتجاج نوّه به القرآن، وآيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى يوم القيامة، وهي كحجّة باقية على جميع الأديان وأتْباعها إلى يوم القيامة.

قد يقال: إن النبي قد جاء بأهل بيته ليؤمّنوا على دعائه وهم بمثابة الشهود على دعوته ومقالته التي أخبره الوحي بها، من أن عيسى بن مريم عبد الله ونبيه، فليس هم إلا شهوداً على هذا المدّعى.

فانه يقال: قبل الولوغ في الجواب لا بد من التعرف على معنى الشاهد والشهادة لغة ليتضح الجواب بعد ذلك.

جاء في اللغة معنى الشهادة: وشهد فلان على فلان بحق، فهو شاهد وشهيد. والمشاهدة: المعاينة. وشهده شهوداً: أي حضره فهو شاهد، وقوم شهود: أي حُضور. وشهد له بكذا شهادة: أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد. وأشهدته على كذا فَشَهِدَ عليه: أي صار شاهداً عليه. يقال للشاهد: شهيد ويجمع شهداء. وأشهَدني أملاكه: أحضرني. وأصل الشهادة: الإخبار بما شاهده. والشاهد والشهيد: الحاضر [1].

فالشهادة من المشاهدة والحضور كما تقول ليُبَلِّغ الشاهد أو الحاضر الغائب، فهي من الحضور فتكون حضورية حسّية، لا حدسية. وكما قرر في محله في الفقه أن الشهادة لابدّ أن تكون حضورية حسّية، بمعنى لو سُئل الشاهد عن الواقعة فيقول رأيت أو سمعت بنفسي، لا أنه أُخبرت عن الأمر أو أخبرني صاحب الأمر بكذا وكذا، فلا تصحّ شهادة من يقول: زيدٌ من الناس أخبرني بأن الأمر قد وقع، وأنني أشهد على وقوعه،ذلك لأنه لم يشهد على الوقوع واقعاً، وإنما أُخبر به ولم يحضره، فلا تكون هذه شهادة على الواقعة وإنما هي شهادة على إخبار فلان له، فالشهادة مشتقّة من المشاهدة والشهود

---

(١) لسان العرب ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤٣. ما آخره (د).

للحدث، أي شهد الحدث أو شاهده فكلامه فيه شهادة، وهنا في مقامنا إن قلتم: إن النبي صلى الله عليه وآله قد جاء بأهل بيته المطهرين وخاصته المقربين عليهم السلام كشهود على مدّعاه ليؤمّنوا على دعائه، وعليه يكون ذلك بمثابة الشهادة على صدقه في دعواه، وبهذا يشهدون على أن الوحي قد أخبره من الباري تعالى بأن عيسى بن مريم عبد الله ونبيه، فيا ترى هل تصح شهادتهم هذه إن لم يروا الوحي أو لم يسمعوه وهو يخبر النبي صلى الله عليه وآله بأن عيسى عليه السلام عبد الله ونبيه، أم أنهم حضروا الوحي وهو يخبر النبي بذلك وقد سمعوه ولذلك جاء بهم بأمر من الله ليشهدوا ويصدّقوا مدعى النبي بذلك، وإلا لو لم يكونوا حضروا الوحي وسمعوه يخبر النبي، فهل تصح شهادتهم، أم أنهم يكونون بذلك ـ والعياذ بالله ـ شهداء على ما لم يطّلعوا عليه، أي شهداء زور؟

فهذا يكشف عن اطلاعهم على الوحي وأنهم يسمعونه، وكما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام **((وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلةً وكلّ ليلة دخلةً فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربّما كان في بيتي، يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عنّي فاطمة ولا أحد من بنيّ))** [١].

---

(١) أصول الكافي ١: ٦٢، ح١/ باب اختلاف الحديث من كتاب العلم. وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام نفس المضمون في الباب نفسه.

ميزة ضائفة لعلي عليه السلام في المقام

في الآيـة أيضـاً مـيزة ضـائفة لعلـي أمـير المؤمـنين عليه السلام ، فإن ما قُرِّبَ في المباهلة كلـه يتأتى فيه عليه السلام ، إلاّ أن في الآية دلالة زائدة وخصيصة خاصة لـه وهـي تـنزيلـه مـنزلة نفـس الـنبي صلى الله عليه وآله وهـذا يقتضـي أنه عليه السلام شريك النبي في الدعـوة، وإن لم يكن يوحى إليه وليس نبياً، وهو مفاد حديث المنزلة، فقد جاء في صـحيح الـبخاري ومسـلم وغيرهمـا من الصحاح والمصنفات والمسانيد ما يـربو عـلى عشـرين مصدراً من مصادر أهل سنّة الجماعة، فضلاً عن المصادر الخاصة التي تروي هذا الحديث الصحيح و المتواتر.

فـروى الـبخاري في صـحيحه: ((**حدثـني محـمـد بن بشار، حدثنا غندر، حدثـنا شـعبة عـن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صـلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسـلم لعلي: ثم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**)) [١] وهذا يشير إلى قول موسى عليه السلام : ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَـارُونَ أَخِـي * اشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي * وَأَشْـرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ [٢]، وهـذا التـنزيل يعضد موقفه وليس مقام الحجية فحسب، وإنما مقام الوصاية والإمامة والشراكة في إبلاغ الدعوة.

ولا يخفى مقام علي بن أبي طالب عليه السلام من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في التبليغ، وأنـه قد أدّى عن النبي صلى الله عليه وآله وذلك لأنه منه، ولا يؤدي عنه إلاّ هو أو رجل منه كما جاء في الصحيح، فقد روى غير واحد بأسانيد وألفاظ متعددة، وعن علي

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩، رقم ٣٥٠٣، صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، رقم٢٤٠٤.

(٢) طه: ٢٩ ـ ٣١.

عليه السلام أنه قال: ((لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، دعا النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال: لي أدرك أبا بكر رضي الله عنه، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقال: يا رسول الله، نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك الاّ أنت أو رجل منك))[١].

وهذه الخصوصية في الأداء عن النبي صلى الله عليه وآله، بمعنى التبليغ عنه لا يمكن أن يقوم بها أي شخص وإن علت مكانته، إلاّ أن يكون مأموراً من الحق تعالى بالتبليغ، ولا يبلّغ رسالة السماء إلاّ المصطفى من الله تعالى. نعم مع حفظ الفارق بين النبي والإمام، إذ إنه صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وأشرف الخلائق أجمعين، وهذا المقام لم يصل إليه أحد من الخلق أجمعين فهو مقام **﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾**[٢] الذي لم ولن يصل إليه أحد، وهو فوق كل

---

(١) تفسير ابن كثير ٢: ٣٣٤. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٣، رقم٤٣٧٤. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٣، رقم ٤٣٧٥. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٤، رقم ٤٣٧٦. مجمع الزوائد ٧: ٢٩. مسند أحمد ١: ١٥١، رقم ١٢٩٦. مسند أحمد ١: ١٥١، رقم ١٢٩٦. فتح الباري ٨: ٣١٨، رقم ٤٣٧٩. تحفة الأحوذي ٨: ٣٨٦. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٧٠٣، رقم ١٢٠٣.

(٢) النجم: ٩.

أحـد مخلـوق، ويأتي مقام سيِّد الوصيين وقائد الغرِّ المحجلين وإمام الحق المبين، والـذي هـو محـور الحق عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام ونفس النبي الأمين صلى الله عليه وآله، ومقام أهـل بيـته المطهـرين عليهم السلام وخاصـته المقربين وشركائه في إبلاغ الدعوة ونصر الديـن، بأمـر مـن ربِّ العالمين، إذ جعلـهم حجة على الخلق أجمعين، وميّزهم بالتّطهير والمباهلة لحفـظ الديـن، وجعـل أجـر الرسالة وما بلغه سيد الخلق أجمعـين صلى الله عليه وآله مـن أصـول وفـروع الديـن مـرهوناً بمودّتهم، ومتوقفاً قبولـه من الخلق على التسليم لـهم والاعتقاد بهم ومتابعتهم، حيث المودة حب وتسليم واتـباع، وهـذا المقـام العظـيم لم يكـن لأحـد مـن الخلـق أجمعـين حتى عباده المصـطفين، وملائكـته المقربين. إذ أجر الرسالات كان على ربِّ العالمين، بينما أجـر رسـالة سيِّد المرسلين بأمر من ربِّ العالمين مودتهم، فهم المقربون الذين بهـم يحفـظ الديـن، وتصـان الأمـة مـن الضـلال والانحـراف خلـف المبطلين المتقمّصين.

فـنخلص إلى أن آيـة المـباهلة موقـف خـاص أراد اللـه تعالى منه إثبات مكانـة أهـل بيـت نبـية صلى الله عليه وآله، وتعـريف الأمـة مكانـتهم ودورهـم مـن هـذا الدين،بعـد أن اخـتارهم هـداة للأمـة وأدلّاء على الدين، فهم بابه الذي منه يؤتـى، وسـبيلـه الـذي بـه يقصد، فبيِّنت الآية المباركة كونهم شركاء النبي في الدعـوة، مـع حفـظ الفـارق بينهم عليهم السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله من حيث مقام النبوة والوحي.



أهل البيت عليهم السلام

وما خصهم الله به



إن الله قد كرّم وفضّل أهل بيت نبيّه ﷺ بما لم يكرّم ويفضّل به غيرهم وقد استفاضت الصحاح والمسانيد من الروايات المستفيضة بل المتواترة الواردة في شأنهم والمعرّفة للأمة بمقامهم، وقد جاءت هذه الروايات متواترة وصحيحة ومتفقاً عليها، وإن جاء بعضها بأسانيد ضعفها البعض، إلا أنّ العلماء ذهبوا إلى أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال[1] المناقب بشروط خمسة:

منها: أن يعتقد صدوره عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم.

ومنها: أن يكون له أصل يعضده، بأن يكون مندرجاً تحت أصل عام.

ومنها: أن لا يشتدّ ضعفه حتى يلحق بالموضوعات.

ومنها: أن لا يعارضه حديث خاص.

ومنها: أن يعمل به في المناقب وفضائل الأعمال [2]، ولا ريب في أن حب أهل البيت عليهم السلام منقبة عظيمة يعضدها أصل قرآني قطعي الصدور والدلالة، حيث قال تعالى: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**

فقد شاركوا النبي ﷺ في أمور كثيرة لم يشاركه فيها أحد غيرهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مقامهم ومنزلتهم العظيمة عند الله تعالى ويكشف عن قربهم من النبي الأكرم ﷺ، والدور المرسوم لهم من قبل الله

---

(١) شرح الزرقاني ٤: ٣٥٩.

(٢) السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مصدر سابق.

تعالى لهذا الدين، وهذا بحدّ ذاته دال على المقام والمنزلة، فشاركوا النبي في كثير، ولعل أبرز ما شاركوا النبي ﷺ فيه هو:

أولاً: تطهير الله لهم من الرجس

كما أن القرآن طاهر مطهّر، وصادق مصدّق، كذلك أهل البيت عليهم السلام، الذين قرنهم النبي ﷺ بأمر من الله تعالى ـ في حديث الثقلين المتواتر ـ بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا التطهير يكشف عن مكانتهم ومقامهم من هذا الدين، ومكانهم من رسول الله ﷺ الطاهر المطهّر، الذي لا ينطق إلا عن الله وبما يرضي الله تعالى، وما تطهيرهم إلا لذلك الدور، ذلك لكونهم عليهم السلام بضعة رسول الله ﷺ وسيد الأنبياء، والذي اصطفاه تعالى من أطهر الأصول، وتعهد نوره في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة، من لدن آدم حتى حملته أمه عليها السلام، ومن ثم كان أهل البيت عليهم السلام سلالة النبي ﷺ أهل الحسب والنسب والطهر والشرف، لا يلوثهم رجس ولا ينالهم دنس، فلقد طهّرهم الله فضلاً منه، وإتماماً لنعمته وإكمالاً لدينه، ذلك لأنهم الثقل المودع مع القرآن في الأمة كما بينه حديث الثقلين، وكما جاء في عدّة من الآيات القرآنية، منها: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾** [1].

فقوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾** المبيِّنة للثقل الأول، وقوله: **﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾** وهم الثقل الثاني الذي لا يدرك حقائق القرآن، ولا يصل إلى

---

(١) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

العلم المكنون غيرهم، لكونهم المطهّرين، ولا مطهّر في أمة محمد ﷺ غيرهم بشهادة القرآن الكريم، حيث أثبت لهم التطهير، ولم يثبته لأحد سواهم، وقد يُدرَك سبب تطهيرهم عليهم السلام من هذه الآيات، ولا يخفى على القارئ الكريم الفرق بين المُطَهَّرْ والمُتَطَهِّرْ، فهم مُطَهَّرون، فتدبّر.

وقوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾** [١].

كذلك هذه الآية المباركة مُبَيِّنة للثقلين المودَعين في الأمة، فقوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ..﴾** دالة على الثقل الأول المودع في الأمة، ولا يمكن أن يستفاد من هذا الثقل العظيم تمام الفائدة التي أرادها الله، إلا بانظمام الثقل الثاني، وهو: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** فالراسخون في العلم هم المُطَهَّرون الذين يصلون إلى حقائق الكتاب المكنون، وبهم تتحقّق تمام الفائدة والضمان والأمان، وغيرها من الآيات العديدة التي تكشف عن وجود الثقلين في الأمة، وقد ذُكرت في محلها [٢].

وكلها تَكشف عن دور أهل البيت عليهم السلام والذي هو استكمال واستتباع لدور النبي الأكرم ﷺ. فهم عليهم السلام بضعة النبي ﷺ، وهم منه وهو منهم، فرسول الله مطهر وما يضاف إليه مطهر، فهم مطهّرون لارتباط الجزء والبعض

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) يمكن الاستفادة من كتاب الإمامة الإلهية لشيخنا الأستاذ المحقق آية الله السند.

بالكل. وآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ تدل على أن الله تعالى قد شرك أهل البيت عليهم السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ (١)، فلا يمكن أن تلحق المذمّة أو ما يشين لمن قد شهد الله تعالى لهم بالتطهير وإذهاب الرجس عنهم، وتلك عناية من الله وفضل منه يصيب به أولياءه خاصة ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (٢)، فهم عليهم السلام رحم رسول الله صلى الله عليه وآله النافع لأمته والموصول في الدنيا والآخرة، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول على هذا المنبر: ((**ثم ما بال رجال يقولون أن رحم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا تنفع قومه، بلى والله، إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وأني أيها الناس فرط لكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجل: يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، وقال يتحقق أنا فلان بن فلان، قال لهم: أمّا النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري**))(٣).

ثانياً: مودّة أهل البيت عليهم السلام من مودة النبي صلى الله عليه وآله

إن الله تبارك وتعالى فرض مودة أهل بيت نبيه في كتابه المجيد، وألزم الأمة بمحبتهم ومودتهم لما لهم من مقام عظيم عنده، ولو لم يعلم الله تعالى

---

(١) الفتح: ٢.

(٢) الجمعة: ٤.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٨، رقم ١١١٥٤ـ ١١١٥٥ و ٣: ٣٩، رقم ١١٣٦٣.

منهم الصدق الدائم وملازمة الحق، ولو لم يعلم الله منهم الإيمان والطهارة والاستقامة الدائمة لما فرض على الأمة مودتهم ومحبتهم، ذلك لأن الله تعالى طلب منا التبري من أعدائه، وعدم موالاة الظالمين والمنحرفين والفاسقين ولعلم الله تعالى باستقامة هذا البيت وأهله عليهم السلام ، ذلك لأنه طهّرهم بإذهاب الرجس عنهم فكانوا بذلك صنائع الله تعالى، فقد أمر الله بمودتهم، وفرض المودة دائم ومتّصل إلى آخر يوم من هذه الدنيا، فاستقامتهم كذلك باقية إلى آخر يوم من هذه الدنيا.

وقد جاء في السنّة المطهرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ، أمره للأمة بمحبة أهل البيت عليهم السلام ، وقد عَلّم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمته بالتزام محبة أهل بيته [١]، فقد جاء في المستدرك على الصحيحين وسير أعلام النبلاء وسنن الترمذي وشعب الإيمان والاعتقاد للبيهقي والمعجم الكبير للطبراني وفيض القدير للمناوي وحلية الأولياء لأبي نعيم وغيرها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ،عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: ((**ثم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبواأهل بيتي لحبي**)) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٢].

---

(١) سنعرض في كتاب مستقل إن شاء الله، ما ورد من الروايات في صحاح أهل سنة الجماعة ومسانيدهم، في حب أهل البيت ومقامهم عليهم السلام ، وسنتعرّض إلى بيان أسانيدها وصحتها على مباني القوم، ونتيجتها مثبتة وملزمة باتباعهم، وليس حبهم فقط.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٢، رقم ٤٧١٦. سنن الترمذي ٥: ٦٦٤، رقم ٣٧٨٩. المعجم الكبير ٣: ٤٦، رقم٢٦٣٩ و ١٠: ٢٨١، رقم ١٠٦٦٤. شعب الإيمان ١: ٣٦٦، رقم ٤٠٨ و ٢:

وهـذا الحديـث الصحيح يدلّنا على أن حب أهل البيت عليهم السلام من حب رسـول اللــه صلى الله عليه وآله، وحـبه مـن حب اللـه، فتكون النتيجة أن حبّهم من حب اللـه تعالى.

وروي عـن الـنبي صلى الله عليه وآله ما قالـه في علي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام، فقد روى أحمـد بـن حنـبل في مسنده: **((أن رسول اللـه صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم أخـذ بـيد حسـن وحسـين رضي الله عنهما فقـال: مـن أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة))** [(١)].

وروى غـير واحـد عـن عـبد الـرحمن بـن مسـعود عن أبي هريرة قال: **((ثـم خـرج علينا رسـول اللـه صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انـتهى إلينا، فقـال لـه رجـل: يـا رسول اللـه إنك تحبهما؟ فقال: نعم، من أحـبّهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني))**. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [(٢)].

⊃

١٣٠، رقـم ١٣٧٨ و ٢: ١٨٨، رقـم ١٥٠٢. الإعـتقاد ١: ٣٢٨. فـيض القدير ١: ١٧٨. حلية الأولـياء ٣: ٢١١. سـير أعـلام الـنبلاء ٩: ٥٨٢. الـتدوين في أخـبار قزوين ٣: ٣٠٠. فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٩٨٦.

(١) مسـند أحمـد ١: ٧٧، رقم ٥٧٦. سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢: ١٣٥. سنن الترمذي ٥: ٦٤١، رقـم ٣٧٣٣. الذريـة الطاهـرة للإمام الحافظ أبي بشر الدولابي ١: ١٢٠، رقم ٢٣٤. أبو عبد اللـه المقدسي في الأحاديث المختارة ٢: ٤٥، رقم ٤٢٢. وغيرها من المصادر.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٨٢، رقم ٤٧٧٧.

وروى غير واحد عن قرة بن إياس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: **((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما))**(١).

وروى الطبراني عن عبد الله قال: **((ثم كان النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يصلي والحسن والحسين على ظهره فباعدهما الناس، وقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: دعوهما بأبي هما وأمّي، من أحبّني فليحبّ هذين))**(٢).

وروي عن الحارث عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم للحسين بن علي: **((ثم من أحب هذا فقد أحبّني))**(٣).

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٨٣. سنن ابن ماجه ١: ٤٤، رقم ١١٨. المعجم الكبير ٣: ٣٩، رقم ٢٦١٧ و٣: ٦٥ و١٩: ٢٩٢، رقم ٦٥٠. الإصابة ٦: ٣٢٠، رقم ٨٤٨٣. كشف الخفاء ١: ٣٤، رقم ٥٤

(٢) المعجم الكبير ٣: ٤٧، رقم ٢٦٤٤و٢٦٤٣و٢٦٤٥. صحيح ابن حبان ١٥: ٤٢٦، رقم٦٩٧٠. مجمع الزوائد ٩: ١٧٩باب فيما اشترك فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما من الفضل. حلية الأولياء ٨: ٣٠٥. علل الدارقطني ٥: ٦٤، رقم ٧٠٩. فضائل الصحابة للنسائي ١: ٢٠، رقم ٦٧. الإصابة ٢: ٧١. صحيح ابن خزيمة ٢: ٤٨، رقم ٨٨٧ باب ذكر الدليل على أن الإشارة في الصلاة بما يفهم عن المشير لا يقطع الصلاة ولا يفسدها. موارد الظمآن ١: ٥٥٢، رقم ٢٢٣٣. سنن البيهقي الكبرى ٢: ٢٦٣، رقم ٣٢٣٧ باب الصبي يتوثب على المصلي ويتعلق بثوبه فلا يمنعه. السنن الكبرى ٥: ٥٠، رقم٨١٧٠. مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٧٨، رقم ٣٢١٧٤ باب ما جاء في الحسن والحسين رضي الله عنهما. مسند البزاز ٥: ٢٢٦، رقم ١٨٣٤. وغيرها من المصلدر العديدة التي نقلت مثل هذه الأخبار المتواترة والمستفيضة، والصحيحة والحسنة في فضل أهل البيت عليهم السلام.

(٣) المصدر السابق.

وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: ((**ثم من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**))[١].

فهذا أمر من الله ورسوله بحبهم ونهي عن بغضهم، فأمر أمته بأن يحبوا أهل بيته كما يحبونه ويوقرونهم كما يوقرونه، ويلتزمونهم كما يلتزمونه لأنهم صنائع الله، ونجاة للأمة، ذلك لأنهم بمنزلة الرأس بالنسبة للجسد كيف لا وهم سفينة النجاة، وباب حطة

فقد روي عن سلمان قال: ((**ثم أنزلوا آل محمدصلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلاّ بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين**))[٢]. وغيرها من الروايات المتواترة والعديدة التي أمر فيها صلى الله عليه وآله بمحبتهم وملازمتهم عليهم السلام، فهم غصون تلك الدوحة المباركة التي أصلها في الأرض وفرعها في السماء، والتي اصطفاها الله تعالى من بين خلقه، واصطنعها على عينه، فبلغت أوج الكمال الإنساني في الروح والجسد والسرِّ والعلن، وذلك لأنهم بضعة أشرف الخلق وأكرم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ومن أكرم بيت في الوجود، كما رواه مسلم في صحيحه والترمذي في الجامع الصحيح عن واثلة بن الاسقع، ((**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**))[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المعجم الكبير ٣: ٤٦، رقم ٢٦٤٠. مجمع الزوائد ٩: ١٧٢.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٦ باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله. صحيح ابن حبان ١٤:

وليس هذا كلام جَدّ في شأن أحفاده، وإنما هو أمر الله وبلاغه لنبيه الذي **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾** [١]، وهو المبلِّغ عن الله تعالى بأنه يحبهم **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾** [٢]. فلو أن الله لا يعلم استقامتهم لما ألزم الأمة بمحبتهم فضلاً عن مودتهم واتباعهم والاقتداء بهديهم.

وقال الشيخ شمس الدين بن العربي كما نقله في الصواعق[٣]:

رأيت ولائي آل طه فريضةً على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودّة في القربى

وروى العجلوني في شرح الخفاء عن النبي أنه قال: ((**أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وعلى قراءة القرآن**))[٤].

وقد حذّر النبي من بغض أهل البيت ، فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي أنه قال: ((**لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار**))[٥].

١٣٥، رقم ٦٢٤٢. وغيرهما.

(١) النجم: ٤.

(٢) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٧٠.

(٤) كشف الخفاء ١: ٧٦، رقم ١٧٤.

(٥) صحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٥، رقم ٦٩٧٨. وروي بألفاظ مقاربة، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٢، رقم ٤٧١٧ و ٤: ٣٩٢، رقم ٨٠٣٦. موارد الظمآن ١: ٥٥٥، رقم٢٢٤٦. مجمع الزوائد

وروى الحاكم في المستدرك والهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني في الكبير وابن أبي حاتم في علله عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لآل محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم دخل النار**))[١]. وقال الحاكم في ذيله: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

فحبهم عليهم السلام جزء لا يتجزأ من حبّ رسول الله ﷺ، وحبهم جزء لا يتجزأ من حب الله تعالى، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يملأ حبهم قلبه ويقدمهم على نفسه وأهله، ذلك لأن حبهم متعلق بالله تعالى، فمن أحب الله أحبهم، ولا يمكن لأحد أن يكون في قلبه ذرّة بغض لهم ويزعم أنه يحب الله ورسوله، ذلك لأن حبهم من حب الله ورسوله ﷺ وبغضهم من بغضه. فهؤلاء هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي عليهم السلام.

ولهذا فإنّ حب أهل البيت عليهم السلام دلالة على سلامة العقيدة وصدق الإيمان بالله ورسوله، كما أن كراهيتهم دلالة قاطعة على فساد العقيدة ومرض القلب، والبعد عن الله ورسوله ويؤكد هذا المعنى ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ من أن حُبّ أهل بيته إيمان وبغضهم نفاق، وما ذُكر في سيّد أهل البيت بعد النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، وما عهده النبي إليه من أن حبه إيمان وبغضه نفاق، وغيرها من الأحاديث المتواترة في هذا الشأن، فقد

٩: ١٧٢. المعجم الكبير ٣: ٨١، رقم ٢٧٢٦.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ ص:١٦١، رقم ٤٧١٢. المعجم الكبير ١١: ١٧٦، رقم ١١٤١٢. مجمع الزوائد ٩: ١٧١. علل ابن أبي حاتم ٢: ٣٦٩.

روى الذهبي وغيره عن علي عليه السلام قال: ((**والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**))[١].

وعن ابن مسعود: ((**حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة**))[٢].

وعن عمر بن الخطاب: ((**حب على براءة من النار**))[٣].

وعن معاذ بن جبل: ((**حب علي بن أبي طالب حسنة لا يضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة**))[٤].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: ((**أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعرض أولادنا على حب علي بن أبي طالب**))[٥].

وليس من شك في أن هذه الأحاديث الشريفة بشرى من سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، وشهادة منه بالإيمان لمحبي أهل البيت، وفيه في نفس الوقت حكم قاطع بالنفاق على مبغضيهم،ذلك لأنهم محجوبون بظلمات بعضها فوق بعض، ومحرومون من هداية الله ونوره وقد كتب الله عليهم الشقاوة وجعلهم من أصحاب الجحيم بابتعادهم عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٠٩.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ١٤٢، رقم ٢٧٢١.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ١٤٢، رقم ٢٧٢٣.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ١٤٢، رقم ٢٧٢٥.

(٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢: ٢٦١.

حذّر ﷺ من إيذاء أهل بيته أو ظلمهم أو الاستخفاف بحقهم، فقال ﷺ: **((حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب، ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً، لقيني يوم القيامة))**،ذلك لأنهم أصل الإيمان، كما جاء في نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار حيث قال ﷺ: **((والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبّكم لله ورسوله))**[١].

فضلاً عن أن حب أهل البيت إنما هو السبيل لرعاية الله تعالى لصاحبه، والكفيل بحفظه في الدين والدنيا، وثباته يوم الدين على الصراط وشفاعة النبي ﷺ، حيث قال ﷺ: **((ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه ودنياه، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً، حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي))**[٢].

وقال ﷺ: **((أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي))**[٣]، وقال ﷺ: **((شفاعتي لأمّتي من أحب أهل بيتي))**[٤].

يقول العلامة الشعراني في (المنن الكبرى): [سمعت سيدي علياً الخواص رضي الله عنه يقول: من حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا، لسريان لحم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ودمه الكريمين في بضعتة من

---

(١) نقلاً عن كتاب السيدة فاطمة الزهراء،لـ محمد بيومي: ٥٨.

(٢) المعجم الأوسط ١: ٧٢، رقم٢٠٣. المعجم الكبير ٣: ١٢٦، رقم٢٨٨١.

(٣) فيض القدير ١: ١٤٨.

(٤) فيض القدير ٤: ١٦٣. تاريخ بغداد ٢: ١٤٦، رقم ٥٦٣.

رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، وللبعض في الإجلال والتعظيم والتوقير ما للكل، وحرمة جزئه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كحرمة جزئه حياً على حد سواء][١].

ويقول ابن تيمية في (العقيدة الواسطية): ومن أصول أهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولّونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال يوم غدير خم: ((**أذكركم الله في أهل بيتي**))[٢]،وقال: أيضاً للعبّاس عمّه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال: ((**والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**)). وقال: ((**إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**))[٣].

وقال أيضاً في مجموع الفتاوي: وكذلك آل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله، فقال لنا: ((**قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)) وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة، هكذا قال

---

(١) عن كتاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لـ محمد بيومي ص ٦٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه وغيره، وقد أشرنا إلى مصادر حديث الثقلين فيما تقدّم.

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية ١: ٤٢. مجموع الفتاوي لابن تيمية ٣: ١٥٤.

الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله، فإن النبي قال: **((إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد))** وقد قال الله تعالى في كتابه: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** وحرّم الله عليهم الصدقة؛ لأنها أوساخ الناس، وفي المسانيد والمصنفات والسنن أن النبي قال للعباس لما شكا إليه جفوة قوم لهم: **((والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي))** وفي الصحيح عن النبي أنه قال: **((إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى بني كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم))**[1].

وهذه المحبة هي المشار اليها بقوله ﷺ: **((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبواأهلي بحبى))**[2].

وقال أيضاً في اقتضاء الصراط: فروى الترمذي من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد أيضاً عن عبد الله بن الحرث حدثني المطلب بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مغضباً وأنا عنده، فقال: ما أغضبك. فقال: يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة

---

(١) مجموع الفتاوي ٣: ٤٠٧.

(٢) التحفة العراقية ١: ٧٧. أمراض القلوب ١ص: ٦٧ ـ ١: ٧٧. الزهد والورع والعبادة ١: ٨١ مجموع الفتاوي ١٠: ٦٥ ـ ٨٤ ـ ٦٤٩ ٢٨ص: ٦٤٨. منهاج السنة النبوية ٥: ٣٩٦. طريق الهجرتين ١: ٤٦٩. لابن تيمية.

وإذا لقونا لقونا بغير ذلك. قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حتى احمَّر وجهه ثم قال ـ صلى الله عليه وآله ـ: **((والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبّكم لله ولرسوله))، ثم قال: ((أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عمّ الرجل صنو أبيه))**.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في المسند مثل هذا من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد، هذا ورواه أيضاً من حديث جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال: يا رسول الله إنا لنخرج فنرى قريشاً تتحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودر عرق بين عينيه، ثم قال: **((والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي))**[1].

وقال في رسالة **رأس الحسين**، عقب حديث: **((والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي))**، فإذا كانوا أفضل الخلق، فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال.

وقال أيضاً في رسالة **فضل أهل البيت وحقوقهم**: في الحث على الأخذ عن العالم العادل الذي يقول الحق، ولا يتبع إلاّ إيّاه: **ولهذا من يتبع القول الثابت عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وخلفائه وأصحابه، وأئمة أهل بيته، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين، قرة عين الإسلام، وابنه**

---

(١) اقتضاء الصراط ١: ١٥٢. العقيدة الواسطية ١: ٤٢. مجموع الفتاوي ٣: ١٥٤ ـ ١٠ ص ٦٥ ـ ٢٧ ص ٤٧٢. منهاج السنة ٧: ١٠٢.

الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، شيخ علماء الأمة [١].

وانظر: شرف بيت النبوة في جلاء الافهام لابن قيم الجوزية، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري، وغيرها لترى ما روي من فضائلهم ومناقبهم وخصائصهم عليهم السلام مالم يذكر مثله في غيرهم.

ثالثاً: إشراكهم عليهم السلام في الصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله

من كرامة أهل البيت عليهم السلام على الله تعالى، أن جعل الصلاة عليهم مقرونة بالصلاة على جدهم المصطفى، سيد الخلق أجمعين، وأفضل الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله في كل صلاة تُصلّى عليه، وفي كل صلاة مفروضة ومندوبة في تشهدها، وقد جاء عن الصحابي بشير بن سعد الأنصاري بعد نزول الآية الكريمة: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**[٢] أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: يا رسول الله أمرنا أن نُصلّي عليك، فكيف نُصلّي عليك؟ فقال صلى الله عليه وآله: قولوا: ((**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم**)).

يقول ابن حجر الهيتمي في صواعقه: ـ بعدما ذكر الآية ـ فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد إلى آخره

---

(١) عن كتاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، مصدر سابق.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلاّ لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلمّا أُجيبوا به دلّ على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثمّ لمّا أدخل من مرّ في الكساء قال: اللهم إنهم منّي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم، وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم معه، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه [١].

وقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك، فكيف نُصلي عليك، قال: قولوا: **((اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم))**[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نُصلي عليك يا رسول الله فكيف نُصلي

---

(١) الصواعق المحرقة، الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم، الآية الثانية: ١٤٦.

(٢) صحيح البخاري ج٥: ٢٣٣٩، رقم ٥٩٩٧ باب الصلاة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. ورواها بأسانيد متعددة في الباب، وأيضاً في ذيل تفسير الآية. والغريب منه ـ وليس غريباً عليه ـ أنه لا يلتزم بها غالباً، ويقتصر على الصلاة المبتورة كما يلاحظ في صحيحه. وقد تواتر نقل هذه الرواية بطرق متعددة في الصحاح والمصنفات المشهورة والمسانيد المعتبرة والكتب، وسنذكر المصادر في محلها في بحوث لاحقة بحول الله تعالى.

عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: قولوا:)) **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم))**[١]، ولذلك فقد ذهب جل الفقهاء وأئمة المذاهب، وكذلك ذهب الإمام الشافعي، كما نقل عنه ابن كثير في تفسيره[٢]، إلى أنه يجب على المصلّي أن يصلّي على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته. وقال ابن حجر في صواعقه، وأخرج الدار قطني والبيهقي حديث ((**من صلى صلاة ولم يصل فيها على أهل بيتي لم تقبل منه**)) ثم قال ابن حجر: وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي أن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم [٣].

فمن الآية المباركة استفدنا وجوب الصلاة عليه عند ذكر اسمه الشريف ﷺ، ومن الأحاديث الصحيحة المتواترة استفدنا وجوب إشراك أهل بيته عليهم السلام معه عند الصلاة عليه، فعندما يصلى عليه ولا يصلى على أهل

---

(١) صحيح مسلم ١: ٣٠٥، رقم ٤٠٥ باب الصلاة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم. والملاحظ على البخاري وغيره ملاحظ على مسلم أيضاً من التزامهم بالصلاة البتراء الناقصة وتركهم فريضة الصلاة عليهم. وقدأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) تفسير ابن كثير ٣: ٥٠٩، وقد ذكر هناك تحقيقاً في المسألة يمكن الرجوع إليه.

(٣) الصواعق المحرقة باب مشروعية الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على مشرفهم ﷺ: ٢٣٣.

بيته فلا يمكن أن يقال: إن المصلي عليه قد التزم بالأمر المولوي، ذلك لأنّه ترك الصلاة على أهل بيته عليهم السلام، فلتحقق امتثال الأمر يلزم على المكلف أن يشرك أهل بيته عليهم السلام عند الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وإلاّ فصلاته غير صحيحة؛ لأنه لم يأمر بها بل منهي عنها كما سيأتي، فتأمل.

وبهذا قد بيّن النبي صلى الله عليه وآله أن أمر الله تعالى إلى الأمة بالصلاة عليه، إنما يشمل الأمر كذلك بالصلاة على أهل بيته عليهم السلام في كل تشهد، وفي كل صلاة وكفى بهذا تعظيماً وتشريفاً، وهذا يدلنا على معنى دقيق، إذ إنّ ذلك يعني أنّ الله تبارك وتعالى قد قضى بأن مقام أهل البيت عليهم السلام أنما هو من مقام جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن شرفهم من شرفه، وذكرهم من ذكره، وبقاءهم من بقائه، ومن ثم فقد أقامهم النبي صلى الله عليه وآله مقام نفسه في التعظيم والتكريم والتشريف، بل هو أمر الله وإرادته أبلَغَها نبيه ليُبَلِّغَها للأمة، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله إنما ينطق عن الله تعالى ويُبلغ إرادته، وقد بين الله تعالى أن ما يصدر عن النبي هو بأمر الله وإرادته، إذ قال: **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾**[١].

كذلك فقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن إفراده بالصلاة عليه دون أهل بيته، فقد روى ابن حجر الهيثمي في صواعقه أنه صلى الله عليه وآله قال: ((**لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صلَّ على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**))[٢]، وروى

---

(١) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) الصواعق المحرقة. الآيات الواردة فيهم عليهم السلام، الآية الثانية: ١٤٦.

الشافعي في مسنده[١] أن النبي ﷺ كان يقول في الصلاة: ((**اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، انك حميد مجيد**)).

هذا وتأكيداً لمقامهم عليهم السلام عند الله تعالى فلقد بيّن النبي ﷺ هذا المقام في قوله: ((**الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وآل بيته، اللهم صل على محمد وآله**))[٢] وقد روى محب الدين الطبري عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه كان يقول: ((**لو صلّيت صلاة لم أُصلّ فيها على محمد وآل محمد ما رأيت أنها تقبل**))[٣]. وروى الهيثمي والطبراني والبيهقي والمنذري وابن شيرويه والمناوي وغيرهم عن علي يعني ابن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ((**كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وآل محمد**)) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات [٤].

وفي هذا المعنى يقول أبو سليمان الداراني: كما جاء في صواعق ابن حجر، من أراد أن يسأل الله حاجة، فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ

---

(١) مسند الشافعي ١: ٤٢.

(٢) الشفا للقاضي عياض ٢: ٦٤ وقد ذكر روايات عديدة وصحيحة في هذا الشأن.

(٣) وذكرها القرطبي في تفسيره بألفاظ أخرى ١٤: ٢٣٦.

(٤) مجمع الزوائد ١٠: ١٦٠. المعجم الأوسط ١: ٢٢٠، رقم٧٢١. شعب الإيمان ٢: ٢١٦، رقم ١٥٧٥. الترغيب والترهيب ٢: ٣٣٠، رقم ٢٥٨٩. الفردوس بمأثور الخطاب ٣: ٢٥٥، رقم ٤٧٥٤. فيض القدير ٥: ١٩.

وسلم، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يرد ما بينهما.

ويرى ابن قيم الجوزي: أن الصلاة على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حق له ولآله دون سائر الأمة، ولهذا تجب عليه وعلى آله عند الشافعي وغيره، ومن لا يوجبها فلا ريب أنه يستحبها عليه وعلى آله، ويكرهها لسائر المؤمنين، أو لا يجوّزها على غير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وآله، وأما من قال: إن آل النبي في الصلاة هم كالأمة فقد أبعد غاية الإبعاد (عن الصواب)، هذا إلى أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم شرّع في التشهد السلامَ والصلاةَ، فشرع السلام من المصلي على الرسول صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أولاً، وعلى نفسه ثانياً، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثاً، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أنه قال: ((**فإذا قلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد صالح في الأرض والسماء**)) وأما الصلاة فلم يشرعها النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إلاّ على نفسه وعلى آله فقط، فدل ذلك على أن آله هم أهله وأقاربه، ولما سئل صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عن كيفية الصلاة عليه قال: قولوا ((**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**)) فالصلاة على آل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم هي من تمام الصلاة عليه وتوابعها؛ لأن ذلك مما تقرّ به عين النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ويزيده الله به شرفاً وعلوّاً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً [١].

---

(١) كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيّم الجوزي، نقلاً عن كتاب السيدة فاطمة الزهراء لـ محمد بيّومي: ٥٥.

وذكـرهـم في الصلاة هو لتذكير المسلمين بهم في كل وقت وبيان دورهم المهـم، فذكْـرُهم شـرط في صـحة الصلاة، كمـا أن اتـباعهم شـرط في تحقق الـهداية كما ورد في حديث الثقلين.

رابعاً: حق أهل البيت عليهم السلام في الفيء والأنفال

قـد خـصّ اللـــه تبارك وتعالى نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله بسهم في كلٍّ من الفيء والأنفـال، كمـا خص أهل بيته الطاهرين عليهم السلام بسهم خاص بهم ـ هذا فضلاً عـن مقام الإمامة والولاية الذي بيناه فيما سبق عند ذكر الآية والحديث عنها، وكـيف أن الله تعـالى أوكـل هـذا الـدور إلى نبـيه وأوصـيائه صلوات الله عليه أجمعـين ليسود العدل وتوزع الثروة توزيعاً عادلاً يحفظ من خلاله حق كل فرد مـن أفراد المجتمع، ولا يكون ذلك إلا لمن زُوِّد بالعلم اللدنّي منه تبارك وتعالى ـ حيـث قـال تعالى: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** وقد اتفقت المذاهب الإسـلامية عـلى أن المراد بالقربى إنما هي قرابة النبي صلى الله عليه وآله، وإن اختلفوا فيمن يـأخذه مـن قـرابة النبي صلى الله عليه وآله، فذهب فريق إلى أنه للإمام علي وفاطمة الزهراء وولديهمـا عليهم السلام لحديـث ابـن عـباس، حيـث قـال: قـيل ((يا رسول اللـه من **قرابـتك الذيـن أُمـرنا بمودّتهـم، فقـال صلى الله عليه وآله: علـي وفاطمة وابناهما**))، ويرى بعـض أن سـهم ذي القـربى انمـا يصـرف لكل بني هاشم، وكذا بني المطلب، الذيـن آزروا بـني هاشـم في الجاهلية وفي الإسلام، وأما بنو عبد شمس ونوفل، وإن كانوا بني عمهم، فلم يوافقوهم، بل حاربوهم ونابذوهم، وعن سعيد بن المسـيب أن جـبير بـن مطعم أخبره قال: ((**ثم مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى الـنبي صـلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقلنا، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر**

وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير: ولم يقسم النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً))[١].

هذا وقد اختلف العلماء في الغنيمة فقال الشيعة الإمامية ما أخذه المسلمون من المشركين بالحرب والقتال والإغارة على بلاد الشرك، وكذا يلحق بها المعادن التي يحصل عليها الإنسان في أرضه، وما يستخرج من البحر، والكنز المدفون ما لم يعرف صاحبه، وكلّ ما يفضل عن مؤنة الإنسان سواء ما اكتسبه بالتجارة أو الصناعة أو الزراعة وغيرها، وأما عند أهل سنة الجماعة فيقتصر على ما أخذه المسلمون من المشركين بالحرب والقتال، هذا بالنسبة إلى ما يكون فيه الخمس.

وأما ما ذكر في المراد من اليتامى والمساكين وابن السبيل في آيتي الفيء والأنفال، فقد ذهب أهل سنة الجماعة إلى أن المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل فهم من بني هاشم و غيرهم، وقال الشيعة الإمامية: إنه مقتصر على الهاشميين منهم دون غيرهم، وذهب أبو حنيفة إلى أن سهم الرسول سقط بموته صلى الله عليه وآله، أما ذوو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقرهم لا لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذهب أحمد والشافعي إلى أن الغنيمة تقسم إلى خمسة أسهم، سهم للرسول صلى الله عليه وآله ويصرف على مصالح المسلمين وسهم يعطى لذوي القربى أغنياء كانوا أم فقراء، والباقي لليتامى والمساكين وابن السبيل، وقد ذهب مالك إلى أن يرجع أمر الخمس إلى الإمام يقسّمه

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٥٤٥، رقم ٣٩٨٩ و ٣: ١٢٩٠، رقم٣٣١١. ورواه جمع كثير غيره.

حسب ما يراه من المصلحة، وأما ما أجمع عليه الشيعة الإمامية فهو أن الأسهم الثلاثة الأولى، أعني [سهم الله والرسول وذوي القربى] فيفوض أمرها إلى الامام أو نائبه يضعها حسب ما يراه من المصلحة العامة للمسلمين، وأما الأسهم الثلاثة الباقية فتعطى لأيتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ولا يشاركهم فيها غيرهم، وذلك لما ورد من الصحاح في ذلك.

خامساً: حرمة الصّدقة على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

إن ما خص الله به نبيه صلى الله عليه وآله دون سائر خلقه من تحريم الصدقة عليه، كذلك خص الله به أهل بيته الطاهرين عليهم السلام دون سائر المسلمين، لاشتراكهم في مقام الولاية والقيمومية على المؤمنين **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾** [(١)]، ذلك لأن الصدقة أدران مافي أيدي الناس وأوساخهم وأوزارهم، وهم وجدّهم المطهّرون من الله، فلا يليق بأهل البيت المطهّرين أن يأكلوا أوساخ ما في أيدي الناس.

وقال السيوطي: إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس، قال النووي: تنبيه على العلة في تحريمها عليهم وأنه لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ ومعنى أوساخ الناس،أنها تطهير أموالهم ونفوسهم كما قال تعالى: **﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾** فهي كغسالة الأوساخ.

وقد وردت الروايا ت العديدة والمتواترة في هذا الشأن، فقد روى غير واحد عدة أحاديث في هذا المعنى، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **((ألا إن الصدقة لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس))** وقد جاء هذا

---

(١) المائدة: ٥٥.

الحديث متواتراً بألفاظ عديدة (١).

هـذا إلى أن الصـدقة إنما تعطى على سبيل الترحم المبني على ذلّ الآخذ ومـن ثـم فقـد أبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز والشرف المبني على عزة الآخذ، وذل المأخوذ منه.

وذهب الثوري: إلى أن الصّدقة لا تحلّ لآل محمد، فرضها ونفلـها، وكذا مواليهم؛ لأن موالي القوم منهم، **وقال مالك:** تحلّ لمواليهم.

وقـال أبـو يوسـف، صاحب أبي حنيفة: لا تحلّ لآل محمد صدقة غيرهم وتحـل لــهم صـدقة بعضهم على بعض، هذا وقد **ذهب الإمام أحمد** إلى تحريم الصـدقة عـلى أزواج الـنبي، دون مواليهم، ولكنّها تحرم على موالي آل محمد، لقولــه صـلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم ((مولى القوم منهم))، ذلك لأن تحريم الصـدقة عـلى أزواج الـنبي صـلى اللــه علـيه ـ وآلــه ـ وسـلم ليس بطريق الأصـالة، كـآل الـنبي، وإنما حرمت عليهم تبعاً لتحريمها على النبي صلى اللـه علـيه ـ وآلـه ـ وسلم، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده، ولما كان التحريم على أهل البيت أصلاً، استتبع ذلك التحريم على مواليهم، ولما كان الـتحريم عـلى أزواج النبي صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم تبعاً، لم تحرم على موالـيهم؛ لأنـه فرع عن فرع، وقد ثبت في الصحيح أن (بريرة) مولاة عائشة رضي الله عنها قـد تُصـدق علـيها بـلحم فأكلـته، ولم يحـرّمه الـنبي صـلى اللـه عليه

(١) صحيح مسلم ٢: ٧٥٤، رقم ١٠٧٢. مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٦٦. شرح السيوطي ٥: ١٠٦. صحيح ابـن حبان ١٠: ٣٨٥، رقم ٢٦٠٩ و ١٤: ٥٠٣. الطبقات الكبرى ١: ٣٩٠. المستدرك على الصحيحين ١: ٥٥٣، رقم ١٤٤٦. وغيرها من المصادر العديدة.

ـ وآلـه ـ وسـلم علـيها، بينما حرّم صلى اللـه عليه ـ وآلـه ـ وسلم الصّدقة عـلى مـولاه أبـي رافـع، وقـال لــه: ((**أن الصـدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم**)) [١].

سادساً: المهدي من ولد فاطمة عليها السلام

يقـول الفخـر الرازي في تفسيره في ذيل الآية: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [٢]، في الآية قولان: الأول: أن المـراد أن كلّ نبي شاهد على أمته. والثاني: أن كلّ جمع وقرن يحصل في الدنـيا فـلا بـد أن يحصل فيهم واحد يكون شهيداًعليهم، أما الشهيد على الذيـن كـانوا في عهـد رسـول الله صـلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فهو الرسول بدلـيل قـوله تعـالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾. وثبت أيضاً أنه لابد في كلّ زمان بعد زمان الرسـول من شهيد، فحصل من هذا أن عصراً من الأعصار لا يخلو من شهيد عـلى الـناس، وذلـك الشـهيد لابد أن يكون غير جائز الخطأ، وإلاّ لافتقر إلى شـهيد آخـر ويمـتد ذلـك إلى غـير النهاية وذلك باطل، فثبت أنه لابد في كلّ عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم، وذلك يقتضي أن يكون إجماع الأمة حجة.

قـال أبو بكر الأصم: المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من

---

(١) السيدة فاطمة الزهراء لـ محمد بيومي: ٧٩.

(٢) النحل: ٨٩.

أعضاء الإنسان حتى أنها تشهد عليه وهي: الأذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان. قال: والدليل عليه: أنه قال في صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الأعضاء لا شك أنها من أنفسهم.

أجاب القاضي عنه من وجوه:

الأول: أنه تعالى قال ﴿**شَهِيدًا عَلَيْهِم**﴾ أي على الأمة فيجب أن يكون غيرهم.

الثاني: أنه قال (من كل أمة) فوجب أن يكون ذلك الشهيد من الأمة وآحاد الأعضاء لا يصلح وصفها بأنها من الأمة، وامّا حمل هؤلاء الشهداء على الأنبياء فبعيد، وذلك لأن كونهم أنبياء مبعوثين إلى الخلق أمر معلوم بالضرورة فلا فائدة من حمل هذه الآية عليه[1].

ويقول عبد الرحمن بن الجوزي في صيد الخاطر: إن الله لا يخلي الأرض من قائم له بالجنة، جامع بين العلم والعمل، عارف بحقوق الله تعالى خائف منه، فذلك قطب الدنيا، ومتى مات اخلف الله عوضه، وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة، ومثل هذا لا تخلو الأرض منه، فهو بمقام النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في الإمامة، وهذا الذي أصفه يكون قائماً بالأصول، حافظاً للحدود ولما كان أهل البيت ورثة لأنبياء الله ورسله على مر القرون وكر العصور في الدفاع عن شريعة الله والحفاظ على ملّته من أعدائه الضالين المضلين يردون كل ضلالة، ويمحقون كل بدعة ينادون الناس إلى السنن التي اندثرت ويدعونهم إلى الآداب والفضائل التي

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠: ٩٨، سورة النحل: ٨٩.

هجرت ويحفظون للإسلام قدسيته، فلقد اخرج الملا في سيرته وابن حجر في صواعقه انه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: ((**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من تفدون**))(١).

وقد روي هذا الحديث بنفس الألفاظ مع حذف ما يخص أهل بيت النبي ﷺ، وقد رواه ونقله عدّة من أئمة الحديث، فقد روى الهيثمي في مجمعه وغيره عن أبي هريرة وعبدالله بن عمر رفعه قال: ((**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين**))(٢). ولو افترضنا أن الحديث ورد هكذا كما رواه البعض من دون ذكر أهل البيت عليهم السلام فكذلك هو دال على المقصود بالعدول من الأمة هم عليهم السلام، وذلك لأن هؤلاء العدول عِدْل القرآن وبهم يتحقق نفي الضلال عن الأمة، وأنهم الحق المطلق، إذ إنهم ينفون عن الدين التحريف والإبطال، بمعنى أنهم يثبتون ما أمر الله وينفون ما نهى الله عنه، ولا يتحقق هذا الأمر إلا في أولئك الذين عصمهم الله وطهرهم وقرنهم بالقرآن وجعلهم شهوداً على أزمانهم ومجتمعاتهم.

وقد أوصى والزم النبي ﷺ بملازمة الهداة المهتدين من أئمة أهل

---

(١) عن كتاب السيدة فاطمة الزهراء. مصدر سابق.

(٢) مجمع الزوائد ١: ١٤٠. سنن البيهقي الكبرى ١٠: ٢٠٩. معتصر المختصر ٢: ١٠٥. فيض القدير ٦: ٣٩٦.

البيت عليهم السلام، والاقتداء بهم، والأخذ عنهم، لأنهم المنبع الحقيقي والرافد الطاهر الذي ينبغي على الأمة أن تنهل منه، فهم صبغة الله وصنائع الله تعالى: **﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾** (١)، ولذلك فقد نهى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن إغفالهم أو التقدم عليهم، لأنهم الأعلى مقاماً والأصفى إسلاماً وإيماناً، والأطهر نسباً، والأقرب إلى القرآن من سائر الأمة كما قد حذر الأمة من التخلف عنهم، وتركهم والميل إلى غيرهم، كما أثبت ذلك في حديث الثقلين والسفينة ومن سرّ وغيرها مما تقدم، حيث قال: ((**قال فإني فرط على الحوض وأنتم واردون على الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد، وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم، ثم أخذ بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**))(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله: ((**لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**)) دال على أن علمهم متّصل بالسماء، فهو علم لدنّي من الباري تعالى قد خصّهم به دون غيرهم لكونهم الهداة والأدلاّء على الدين، والمقرونين بالقرآن الكريم، كما يلزم

---

(١) البقرة: ١٣٨.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ١٦٣. المعجم الكبير ٥: ١٦٦، رقم ٤٩٧١.

ذلك كونهم أتقى الخلق بعد النبي ذلك لأن الله تعالى يقول: **﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (١).

وأخرج غير واحد عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إن الله يقيّض في رأس كل مائة سنة رجلاً من أهل بيتي يعلّم أمتي الدين**))(٢).

وقدأخرج أبو إسماعيل الهروي من طريق حميد بن زنجوية قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ((**إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمور دينهم**))، ويقول الحافظ السيوطي إن الرواية المقيدة بقوله ((**من أهل بيتي**))، وإن كانت غير معروفة السند، فإن أحمد أوردها بغير إسناد ولم يوقف على إسنادها في شيء من الكتب ولا الأجزاء الحديثية، غير أنه في غاية الظهور من حيث المعنى (٣).

وقد ورد من الأحاديث ما وصل حد التواتر من أنّ المهدي عليه السلام من آل البيت عليهم السلام من ولد فاطمة عليها السلام، فقد روى غير واحد بألفاظ متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: ((**المهدي من ولد فاطمة**))(٤).

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) حلية الأولياء ٩: ٩٧. عون المعبود ١١: ٢٦١. التقييد ١: ٤٣. طبقات الحفاظ ١: ١٥٨. تهذيب الأسماء ٢: ٤٩٥. وقد ورد بألفاظ متعددة.

(٣) السيدة فاطمة الزهراء لـ محمد بيومي: ٨٢.

(٤) الفتن لنعيم بن حماد ١: ٣٧٥. الفردوس بمأثور الخطاب ٤: ٢٢٣، رقم٦٦٧٠. شرح سنن ابن ماجه ١: ٣٠٠ . التاريخ الكبير ٨: ٤٠٦. تذكرة الحفاظ ٢: ٤٦٤. العلل المتناهية ٢: ٨٦٠.

وقال العجلوني في كشف الخفاء بعد ذكر الحديث: ورد ذكره في أحاديث أفردها بعض الحفاظ بالتأليف منهم الحافظ السخاوي في كتاب سماه ارتقاء الغرف، ومنهم ابن حجر الهيثمي في جزء سماه، القول المختصر في أحوال المهدي المنتظر، وكذلك ذكر كثيراً منها في الفتاوى الحديثة، وكذلك شيخنا البرزنجي في الاشاعة، فمن تلك الأحاديث ما أخرجه أبو داود وابن ماجه عن أم سلمة مرفوعاً ((**المهدي من ولد فاطمة**)) ومنها ما رواه الطبراني عن علي مرفوعاً ((**المهدي منّا، يُختم الدين به كما فتح بنا**))[١].

وقد جاءت الروايات المتواترة في إثبات أن المهدي هو من آل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وأن الله ناصره ومؤيده، ومعز الإسلام به وأنه عز وجل سيورثه الأرض، **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[٢]. ولا تتم هذه الوراثة إلا بخليفة الله في أرضه والذي أودعه علم الكتاب.

فحجة الله في أرضه وعلى خلقه، والذي يختم الله به كما فتح بجده المصطفى صلى الله عليه وآله، فبهم البداية والنهاية، وهذا يكشف عن مكانتهم ومقامهم البالغ الأهمية في الدين واللأمة، ولولا هذا الوجود الشريف لساخت الأرض بأهلها، وذلك لانقطاع الحجة والرابط بين السماء والأرض.

كشف الخفاء ٢: ٣٨٠، رقم٢٦٦١.

(١) كشف الخفاء ٢: ٣٨٠، رقم ٢٦٦١.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

تمّ الفراغ من هذا الكتاب بتوفيقات الله ولطفه في

جوار العتبة المطهّرة المعصومية، والقبة

المنوّرة الفاطمية

الفهرست

مودة أهل البيت عليهم السلام فريضة قرآنية

القربى هم أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام والولاية العامة

آية المباهلة والمقام الإلهي لأهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام وما خصهم الله به